فن الأداء القرآني ومدارسه في العصر الحديث

المستوى الرابع

إعداد:

د/أماني محسوب العطيفي

العام الجامعي2024م-2025م

مقرر :فن الأداء القرآني ومدارسه في العصر الحديث

المستوى: الرابعة

العام الجامعي :2024-2025

عدد الصفحات:94

محتويات المقرر:

المبحث الأول: أساليب الأخذ وطرائق التحمل عند القراء

المبحث الثاني:الكلام والصوت وأنواع الأصوات البشرية وأصنافها،**وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول:الكلام والصوت

المطلب الثاني:تعاريف عن الحنجرة وأوصافها :

المطلب الثالث:تعاريف عن جهاز الصوت التنفس:

المبحث الثالث : الأداء القرآني مفهومه و مراتبـه و أهميته

المبحث الرابع: أثر جمال الأداء القرآني في نفوس المستمعين

المبحث الخامس: جمال الأداء القرآني كيفيته والآثار الـواردة فيه

المبحث السادس:التعريف بالمقامات وحكم قراءة القرآن بها

مقدمـــــــة:

إن الحمد له نحمده ونستعينه ونستغفره ،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ،وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ،قال تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[1]وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ ﴾[2]

(1)سورة آل عمران الآية :102

(2)سورة النساء من الآية :1

أما بعد؛

تعد البحوث المتعلقة بالقرآن الكريم من أجمل البحوث وأمتعها وأثراها ، بل هي غاية يسعى إليها باحثو العربية في مختلف التخصصات ،والبحث في جمال الأداء لآي الذكر الحكيم واحد من الموضوعات المهمة ؛ لارتباطه الوثيق بالقرآن الكريم من ناحية ،وتناوله جانباً مهماًوهو تلاوة القرآن الكري متلاوة صحيحة تتسم بجمال الأداء وكمال الإقراء من ناحية ثانية . فالقراءة الصحيحة المجودة تشد انتباه السامع وتجذب عقله وفكره للتأمل والتدبر في مقصود الآيات، فيخشع قلبه لذكر الله ،وهي الأساس الأول لتدبر القرآن والتأثر والتأثير به .ومن هنا يهدف البحث إلى بيان كيفية التلاوة الصحيحة لآي الذكر الحكيم،كما يهدف إلى بيان الأسس التي عن طريقها يتم الكشف عن عوامل جمال الأداء ومظاهره ،وعن طريقها أيضا يكون الوصف أوالحكم على القارئ بجمال الأداء أو العكس. كما يهدف البحث أيضا إلى تعليل وتحليل هذه العوامل عن طريق معطيات علم الأصوات الذي يعنى في المقام الأول باللغة الشفاهية أو المنطوقة . ويظهر هذا البحث أهمية تحسين الصوت بقراءة القرآن الكريم؛ لما للصوت الحسن من دور فعال فيجذب الانتباه واستمالة القلوب ومن ثم التدبر والتأمل ومعرفة مقصود الآيات . كما يظهر البحث أن القارئ الجيد هو من يستطيع التحكم في أعضاء نطقه،والسيطرة على تيار نفسه،وتنويع درجات صوته ونبراته تبعاً لمعاني التنزيل الحكيم. كما يظهر دور لغة القرآن وفواصله ومدوده في جمال الأداء[1].

1)مقدمة بحث :جمال الأداء آي الذكر الحكيم:د إبراهيم ممدوح محمود

المبحث الأول: أساليب الأخذ وطرائق التحمل عند القراء

تعددت أساليب الأخذ وطرائق التحمل عند القراء التي تلقى بها القراء القراءات العشرة التي بين أيدينا اليوم وهي متواترة دون غيرها" أخذها الخلف عن السلف إلى أن وصلت إلى زماننا "[1]وهي على النحو الآتي:

الأولى: التلقين" :أسلوب من أساليب تحمل القرآن الكريم ودراسته وحفظه. وهو يعني سماع القرآن الكريم من المقرئ المعلم بلفظه وقراءته – ويمكننا الاستشهاد للتلقين بتلقين جبريل القرآن لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– حيث كان يترل جبريل بالقرآن فيلقنه رسول الله،–صلى الله عليه وسلم– وقد كان من بالغ حرصه

1)منجد المقرئين ومرشد الطالين :ابن الجزري ص18

يعجل في الرد والترداد،﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ [1]

ومثل ذلك ما ورد عن يحي بن آدم قال :" قال لي أبو بكر شعبة بن عياش :" تعلمت القرآن من عاصم كما يتعلم الصبي من المعلم خمسًا خمسًا ولم أتعلم من غيره ولا قرأت على غيره."[2]

-ولما قدم المحقق ابن الجزري القاهرة وازدحم الناس عليه لم يتسع وقته لإقراء الجميع، فكان يقرأ عليهم الآية ثم يعيدوا عليه دفعة واحدة. وبذا جمع ابن الجزري بين تلقينه لهم وعرضهم عليه".

الثاني:العرض: ولقد عرض النبي –صلّى الله عليه وسلّم– القرآن مرارا على جبريل، فقد أخرج البخاري عن فاطمة قالت: أسر إليّ النبي –صلّى الله عليه وسلّم– أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي.[3]

وأخرج البخاري عن ابن عباس أنه قال: كان جبريل يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم القرآن.

وبالعرض على الشيوخ أخذ الصحابة كما تقدم والتابعون وتابعوهم ومن بعدهم وإلى يومنا هذا منهم على سبيل المثال لا الحصر :

1 –عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى بن عبد الصمد أبو موسى الملقب قالون قارئ المدينة ونحويها: (ت: 220)هـ ، قال عن نفسه: قرأت على نافع قراءته غير مرة .وقال النقاش: قيل لقالون كم قرأت على نافع؟ قال: ما لا أحصيه

---

1)سورة القيامة 16–19

2)معرفة القراء الكبار :الذهبي ص141

3)أخرجه البخاري في صحيحه برقم(3623)

كثرة . وقال قالون: قال لي نافع: كم تقرأ علي اجلس إلى اسطوانة حتى أرسل إليك من يقرأ .

2- يوسف بن عمر بن يسار ويقال: سيار أبو يعقوب المدني المعروف بالأزرق :ت (: 240هـ). أخذ القراءة عرضا وسماعا عن ورش وهو الذي خلفه في القراءة والإقراء بمصر. قال عن نفسه: كنت نازلا مع ورش في الدار فقرأت عليه عشرين ختمة.[1]

الثالثة: السماع : وهو تلقي القرآن الكريم وتحمله سماعا من أفواه العلماء الضابطين المتقنين [2]هذه الطريقة أيضا تلقى بعض التابعين حيث كان يلقنهم شيوخهم القرآن عشر آيات أو خمس آيات ؛بل قد يلقنوهم آية آية . ولم يكن القراء بعد فساد اللسان يلجؤون إلي طريقة القراءة علي الطلاب والاكتفاء دون العرض والسماع منهم إلا حين يزدحم عليهم الطلاب فلا يتمكنون من سماع كل على حدة، ومن أولئك الإمام الكسائي رحمه الله تعالى: قال ابن الجزري عنه: كان أوحد الناس في القرآن فكانوا يكثرون عليه حتى لا يضبط الأخذ عليهم فيجمعهم ويجلس علي كرسي ويتلو القرآن من أوله إلى آخره، وهم يستمعون ويضبطون عنه حتى المقاطع والمبادئ. وقال الطيب بن إسماعيل: سمعت الكسائي وقد قرأ علينا ختمتين ما من حرف إلا سألناه عنه"[3]

قال الشافعي: كان إسماعيل بن قسطنطين قارئ أهل مكة ، وكان الناس يجيئون بمصاحفهم ، فيقرأ عليهم ، فيصلحون بقراءته، وكان يجلس على موضع مرتفع[4] .. وإن من طالع كتب تراجم القراء يرى أن منهج العرض هو منهج

---

1) مجلة البحوث الإسلامية، مقال بعنوان :الأخذ والتحمل عند القراء العدد (70) ص 3

2) معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي269.

1) مجلة البحوث الإسلامية (العدد)70 ص 367

4)جمال القراء وكمال الإقراء،السخاوي497

الطلبة النابهين والقراء المنتهين فلا يعدلون به عن السماع من الشيخ إلا عند تعذره كأن يكون الشيخ على سفر أو ازدحم عليه الطلبة.

الرابع: تلقي الحروف : تلقي الحروف المختلف فيها عن القراء مجردة عن التلاوة، ويعبر عنها بـ (رواية الحروف) و(سماع الحروف)؛ لأنها تكون بلفظ الطالب على الشيخ والعكس.

الخامس : الإجازة : وهي عند المحدثين" إذن الشيخ للطالب في الرواية عنه مروياته التي لم يقرأها ولم يسمعها منه. وهي أنزل من طريقي العرض والسماع بلا خلاف " وهي في مصطلح القراء: إذن الشيخ المقرئ لمن قرأ عليه بأن يروي عنه ما سمعه منه، أو عرضه عليه من روايات وقراءات القرآن الكريم بالسند المتصل عن مقرئ مقرئ إلى رسول الله. والإجازة لا تمنح إلا لمؤهل متقن، فهي شهادة من المجيز للمجاز بإجادة القراءة وضبط الرواية. وعلى هذا لم تكن تمنح الإجازة إلا بعد ختم القرآن كله عرضا وفق رواية واحدة أو روايات عدة.." [1]

ولقد بالغ القراء في الحيطة في الأخذ بالإجازة المجردة عن القراءة والسماع، إلا لمن كملت أهليته ،وعرف بالضبط والإتقان، حفاظا على كتاب الله، والأولى منع هذا في زماننا تماما ، وسد هذا الباب لضعف الديانة والإتقان معا.

السادس :الوجادة : وهي بكسر الواو مصدر مولد غير مسموع في لغة العرب ويعبر العلماء عما أخذ من العلم من صحف من غير سماع ولا إجازة ولا مناولة . وكيفية رواية ما وقع في يده أن يقول " وجدت " ولا يصح أن يقول فيما وجده (قرأت، أو سمعت، أو حدثنا، أو أخبرنا، لما فيه من التدليس، ولا تصح عن القراء بحال.

---

1) معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرم 13.

المبحث الثاني:الكلام والصوت وأنواع الأصوات البشرية وأصنافها:

المطلب الأول:الكلام والصوت([1])

ينتج صوت نطق الكلام أو غيره من الأصوات الّتي يصدرها الإنسان جرّاء مرور الهواء الخارج من الرّئتَيْن أثناء عمليّة الزّفير عبر القصبة الهوائيّة إلى خارج الجسم من خلال الأنف،ويحدث من خلال تحرّك الحبال الصّوتيّة انقباضًا وانبساطًا. فيأخذ الإنسان شهيقًا عميقًا، وتقوم الحبال الصّوتيّة بالتّلاقي والتّلامس، ثمَّ تنقبض عضلات الصّدر والبطن فيخرج الهواء من بين حبلَيْ الصَوت، وتحدث له الذّبذبة الّتي ينتج عنها الصّوت، وتتغيّر درجة انقباض الحبال الصوتيّة والتّغيير المناسب في الطّول والتّوتّر، فتحدث الاختلافات في نبرات الصّوت.

مثال: خذ سيرا مطاطيا، واربط طرفيه بعودين، وليكن بين العودين مسافة معينة. ثم احضر مروحة كهربائية ووجها نحو السير المربوط. شغل المروحة واجذب السير جذبا شديدا ثم اتركه. سينتج ذلك صوتا. فإن لم يكن السير مرنا (مطاطيا)

---

1)من مقال جمال التلاوة في الصوت والنغم–جمعيّة القرآن الكريم للتوجيه والإرشاد صـ٥٢ ، ٥٣ بيروت – ط/أولى ١٤٣٣هـ٢٠١٢/م.

كان الصوت الناتج حادا. وإن كان السير مرنا، كان الصوت الناتج فخما رخيما. أما قوة الصوت، أعاليا هو أو خافت، فهذا يعتمد على كمية الهواء الموجه نحو السير. فإن كانت المروحة تدور دورانا سريعا، سيكون الصوت عاليا. وإن كانت تدور دورانا بطيئ، كان الصوت خافتا.

وكذلك صوت الإنسان، فالسير هو الحبال الصوتية في حنجرة الإنسان، والمروحة هي الرئتان.

أما تعريف الطبقة الصوتية:فهو سرعة اهتزاز الحبال الصوتية ومرونتها.

مثلا: لو أن السير المطاطي في المثال السابق اهتز ألف اهتزازة في الثانية، لكان الصوت الناتج أشبه بالصرير. ولو أنه اهتز مائة اهتزازة في الثانية، لكان الصوت الناتج فخما رخيام. كذلك صوت الإنسان، فإن عدد اهتزازت الحبال الصوتية في الثانية هو الذي يحدد طبقة الصوت.

ونوعيّة الصّوت الصّادر من حنجرة كلّ إنسان هي علامة مميّزة له، وأشبه بتلك البصمات لأطراف الأصابع، الّتي تميّز إنسانًا عن الآخر، ولدى غالبيّة النّاس يلعب صوت نطق الكلام دورًا مهمًّا في الشّخصيّة وكيفيّة تفاعلها مع المحيطين بهم، لأنّنا نعتمد عليه كثيرًا في التّواصل ونوعيّته والرّسائل المراد إيصالها، لا من خلال مكوّنات كلمات الجمل فحسب، بل على خصائص شتّى متعدّدة في طريقة إصدار أصواتها، وإضافة إلى هذا فإنّ ثمّة كثيرين جدًّا من النّاس الّذين تعتمد جوانب شتّى من حياتهم على حبالهم الصّوتيّة وكفاءة عملها بشكل طبيعيّ أو فوق الطّبيعيّ. وهذا يعني أنّنا كأشخاص طبيعيّين بحاجة إلى حبال صوتيّة سليمة ومرنة وتتفاعل بطريقة طبيعيّة مع ما نريد من كيفيّة في إصدار أصوات نطق الكلمات للجمل، وهو ما يتطلّب أن نعتني بتلك الحبال

وسلامتها في الاستخدام اليوميّ لها وفي حال تعرّضنا لأيّة ظروف أو أمراض قد تطولها بالضّرر.

المطلب الثاني:تعاريف عن الحنجرة وأوصافها :

أولا:تعريف الحنجرة

الحنجرة عضو غضروفيّ يقع في مقدّمة الرّقبة (أعلى الرّقبة) من أسفل العظم اللاميّ. وحنجرة الرّجل تكون أكثر بروزًا في الرّقبة عن حنجرة المرأة.

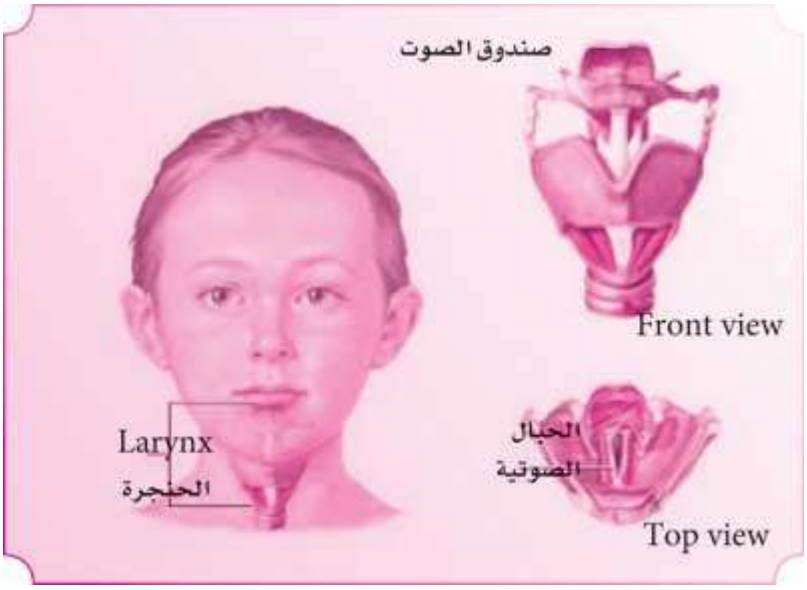

الحنجرة عضو أساسيّ في الجهاز التّنفّسيّ، وتعمل كصمّام أمان لمنع تسرّب الأكل أو الشّرب أثناء البلع إلى القناة التّنفّسيّة، بالإضافة إلى أنّها عضو أساسيّ في جهاز الكلام حيث يتمّ فيها انقباض الحبائل الصّوتيّة مع مرور الهواء من الرّئة أثناء عمليّة الزّفير.

ثانيا: الوصف التشريحي للحنجرة:

تتكوّن الحنجرة من عدّة غضاريف فرديّة، هي: الغضروف الدّرقيّ، والغضروف الحلقيّ، وثلاثة غضاريف زوجيّة .

وتتّصل هذه الغضاريف بعدّة أربطة يبطّنها من الدّاخل غشاء مخاطيّ وعضلات، وهي تعمل على تقريب أو إبعاد الحبال الصّوتيّة أثناء الشّهيق أو الزّفير، وكذلك أثناء البلع أو الكلام.

كما يوجد عند مدخل الحنجرة غضروف مغطى بغشاء مخاطيّ يسمّى (لسان المزمار)[1] يتحرّك ليقفل الحنجرة أثناء بلع الطعام،وتقع الأحبال الصوتية وهي عبارة عن زوج من الطيات العضلية المرنة داخل الحنجرة على جانبين متقابلين بينهما مسافة تسمح بمرور الهواء .

1) لسان المزمار هو غضروف رقيق يخرج من مقدم الحنجرة ويصعب رؤيته ،وما يراه الإنسان عندما يفتح من سيجد كتلة لحمية طولها يتراوح ما بين نصف سم إلى واحد سنتيمتر تتدلى من آخر جزء في سقف الحلق ،وتكاد ان تلامس اللسان هذا يسمى اللهاه

وتتحكّم هذه الأحبال الصّوتيّة في نغمة الصّوت بواسطة الشّدّة والارتخاء، وتقوم بذلك عضلات صغيرة متّصلة بغضاريف الحنجرة.

ثالثا :وظائف الحنجرة

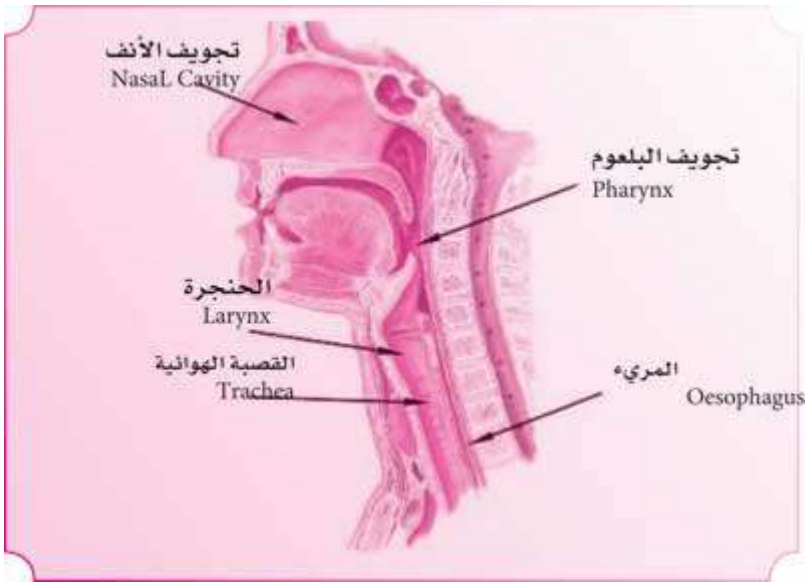

هي عضو مهمّ وحيويّ بالنّسبة للتّنفّس والبلع، إذ أنَّها تعمل كصمّام أمان لمنع دخول الأكل والشّرب إلى الرّئتَيْن أثناء البلع، وكذلك منع دخول أيّ أجسام غريبة. وهذه هي الوظيفة الوحيدة للحنجرة في بعض الحيوانات، إلا أنَّها تكتسب صفات أخرى لكي تقوم بوظائف إضافيّة مهمّة في الإنسان والحيوانات العليا، إذ أنَّ القدرة على الكلام تقوم أساسًا على إصدار الصّوت عن طريق الأداء الوظيفيّ السّليم للحبال الصّوتيّة، وإجمالاً يمكن تحديد وظائف الحنجرة كالآتي:

1 . **التّنفّس.**

2 . **البلع.**

3 . **الكلام.**

4- الكحّة وطرد البلغم من الرّئتَيْن.

فالكحّة ما هي إلا محاولة لطرد المخاط والأجسام الغريبة من الرّئتَيْن والشُّعَب الهوائيّة، لذا فهي إحدى العمليّات الحيويّة المهمّة بالجسم.

وللتّخلّص من الإفرازات والمخاط المتجمّع، لا بدّ من حدوث انقباض في عضلات الصّدر والبطن ممّا يؤدّي إلى ارتفاع ضغط الهواء داخل تجويف الصّدر، ومع ابتعاد الحبال الصّوتيّة عن بعضها البعض، فيندفع الهواء حاملاً معه المخاط إلى خارج الجسم.

يمكن إيجاز النّصائح العامّة للمحافظة على الحنجرة بالآتي:

- تجنّب التّنفّس من الفم لأنّ له تأثيرًا مباشرًا وضارًّا على الحنجرة، إذ يمرّ تيّار الهواء البارد أو السّاخن الجافّ أو الرّطب والمحمّل بكلّ ملوّثات البيئة على الحلق والحنجرة مباشرة، فيؤدّي ذلك إلى التهابها، وما ينتج عن هذا من أعراض مثل بحّة الصّوت، والإحساس بالجفاف، والكحّة وما شابه.
- الابتعاد عن التّدخين والملوّثات البيئيّة من أدخنة وكيماويّات وعادم السّيّارات والأتربة وما شابه.
- استعمال الصّوت بطريقة سليمة وغير مجهدة للحبال الصوتيّة، خصوصًا في المهن الّتي يعتمد أفرادها على استعمال الصّوت لفترات طويلة مثل المحامي والواعظ وسيّدة البيت عند تعاملها مع أولادها.
- العلاج السّريع والمناسب لأيّة التهابات تحدث في الحنجرة مثل نزلات البرد.

- العناية بالصّحّة للجسم بشكل عامّ، والاهتمام بسلامة الأنف والحلق، والتّأكّد من الأداء الوظيفيّ السّليم لهما بشكل خاصّ، حيث إنَّ هذا يضمن استمرار تكييف الهواء، وليصل إلى الحبال الصّوتيّة بصورة طبيعيّة ونقيّة، وكذلك يمنع استنشاق ميكروبات أو افرازات صديديّة متساقطة من الأنف أو البلعوم.

المطلب الثالث:تعاريف عن جهاز الصوت التنفس

أ-مسالك الصوت

قلنا أن الصّوت هواء يخرج من الرّئتَيْن ويمرّ عبر الفراغ الرّنينيّ من الحنجرة إلى خارج الفم هازًّا الحبال الصّوتيّة، وتسمّى هذه الطّريقة الّتي يمرّ بها الهواء المهتزّ المصوَّت: (مسالك الصّوت).

وهذه المسالك أشبه بدهليز طويل كثير التّعرّجات متعدّد الفجوات والفتحات يتدافع فيها الهواء الصّائت، ويتّخذ في كلّ تجويف أو فتحة نغمًا ولونًا وشكلاً جديدًا. والإنسان ينشد ويصوّت ويتكلّم بفعل يبدو عفويًّا، لكنّه في الحقيقة فعل مقصود يقوم على دفع الهواء الصّائت بغية تشكيل الأنغام والكلمات.

ب-أعضاء جهاز إصدار الصوت:

تسمّى الأعضاء المشتركة في إخراج الصّوت: (الجهاز المصوَّت) والهدف من التّعرّف على أعضاء جهاز إصدار الصّوت وعلى كيفيّة اشتراكها في عمليّة إصدار الصّوت هو المساهمة في تصحيح الأخطاء وتلافي عيوب الأداء، وتخطّي بعض الصّعوبات التّقنيّة المختلفة.

ويتألّف الجهاز المصوّت من جهازَيْن اثنَيْن:

1- الجهاز التّنفّسيّ: ويتكوّن من القصبة الهوائيّة، والرّئتَيْن، والحجاب الحاجز، والقفص الصّدريّ.

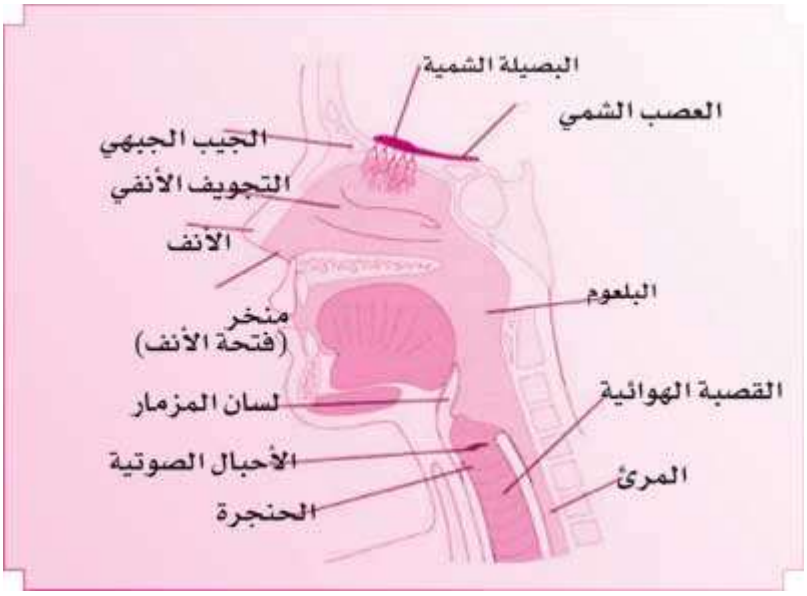

أ- القصبة الهوائيّة: (الرّغامى): وهي عبارة عن قناة أسطوانيّة الشّكل مكوّنة من دوائر غضروفيّة بعضها فوق بعض، تربطها عضلات مرنة تتحرّك مع تحرّكات الرّأس والرّقبة. تتّصل من أعلاها بالحنجرة وتتفرّع في نهايتها إلى فرعَيْن يتشعّب كلّ منهما في إحدى الرّئتَيْن.

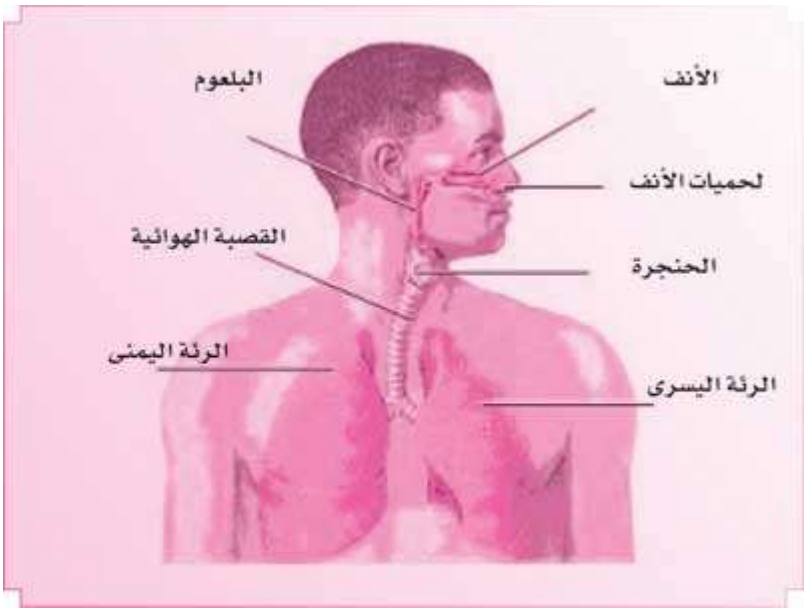

ب- الرّئتان: وتتكوّن الرّئة من نسيج اسفنجيّ مطّاطيّ مغلّف بغلاف شفاف رقيق يسمّى (الغشاء البلّوريّ)، يفرز عصارة تساعد على سهولة انزلاق الرّئتَيْن وتمدّدهما على الجدار الدّاخليّ للقفص الصّدريّ أثناء التّنفّس.

ج- الحجاب الحاجز: وهو عبارة عن غشاء عضليّ رقيق يقع بين الرّئتَيْن والمعدة وهو عضو فعّال في إجادة عمليّة التّنفّس اللازمة للإنشاد، إذ أن خاصيّة التّمدّد تبعًا لامتلاء الرّئتَيْن بالهواء والعودة إلى موضعه الأصليّ بعد خروج الهواء منها.

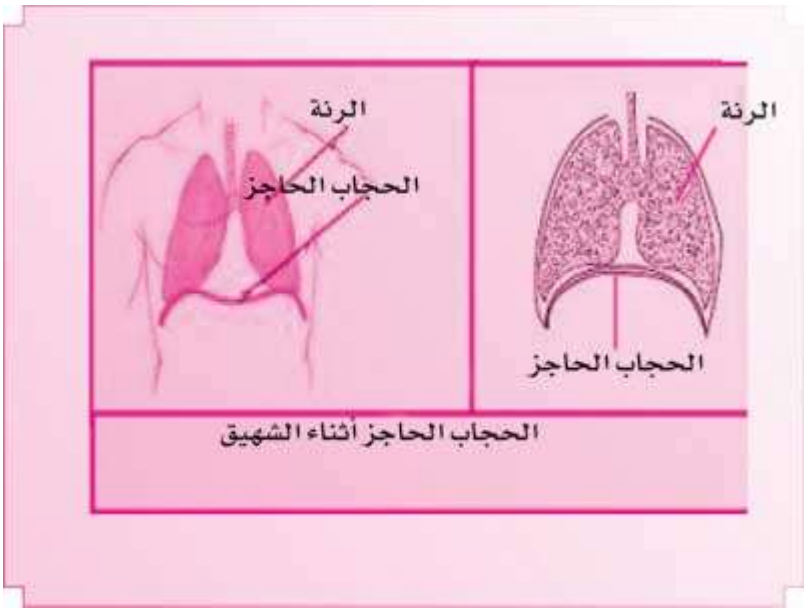

د- القفص الصّدريّ: يشبه الصّندوق في شكله، ويقع العمود الفقريّ في منتصفه الخلفيّ. متوسّط الأضلاع الأربعة والعشرين تلتقي هذه الأضلاع في الأمام بعظمة الصّدر في استدارة، كما توجد عضلات في الأضلاع تساعد على تحقيق مرونة القفص الصّدريّ فيتّسع عندما تمتلىء الرّئتان بالهواء ويعود إلى حالته الطّبيعيّة عندما يخرج.

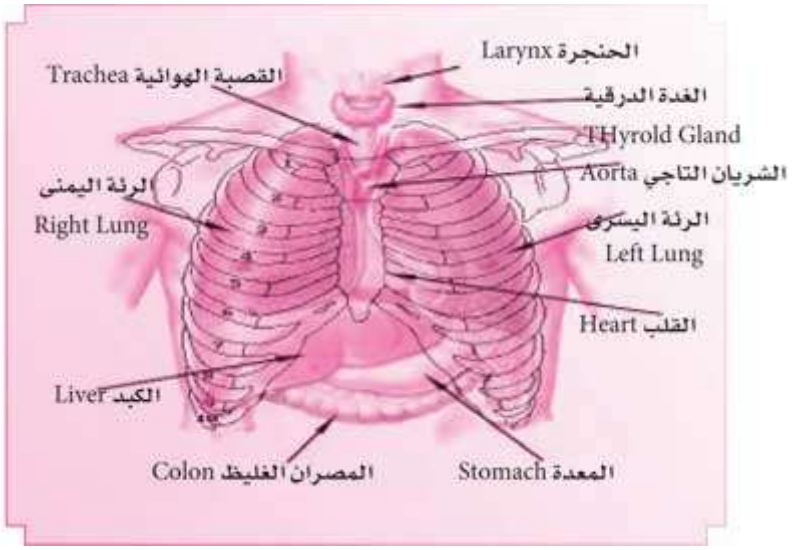

2- الجهاز الصّوتيّ: يتكوّن أساسًا من الحنجرة والفم وتجاويف الأنف إلا أنّه لا يعمل منفردًا بل بالتّعاون والتّفاعل مع الجهاز التّنفّسيّ، ومع أماكن الرّنين المختلفة في جسم الانسان.

أ- الحنجرة: تشبه العلبة الصّغيرة وتبدأ من أعلى القصبة الهوائيّة حتّى حدود الفك الأسفل، ويمكن رؤيتها بارزة أمام الرّقبة خاصّة عند الرّجال فيما يعرف بـ (تفّاحة آدم).

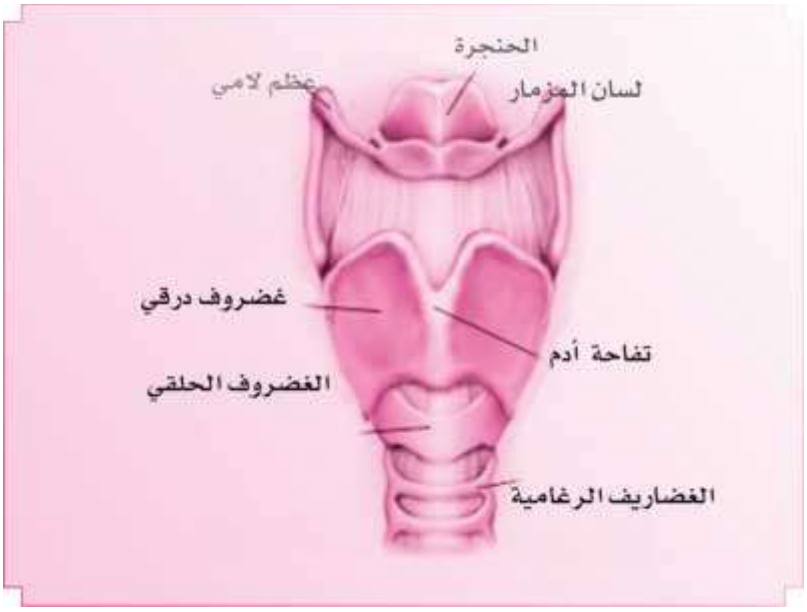

وتحتوي الحنجرة على الأوتار الصّوتيّة الّتي تتميّز بمرونتها وقصر طولها حيث يبلغ حوالي خمسة عشر ملّمترًا عند البالغين وحوالي أحد عشر ملّمترًا عند النّساء والأطفال. وتتجمّع الأوتار الصّوتيّة مع الحبال الصّوتيّة في مجموعتَيْن تنفرجان أو تتباعدان أثناء الشّهيق، وتتقاربان أثناء الزّفير عند التّكلّم أو القراءة.

ب- تجويف الفم: يقوم الفم بتشكيل لون الصّوت بوجه عامّ، ويقوم اللّسان مع الأسنان بالتّعاون مع بقية أجزاء الفم على إصدار الحروف الساكنة والمتحرّكة من مخارجها.

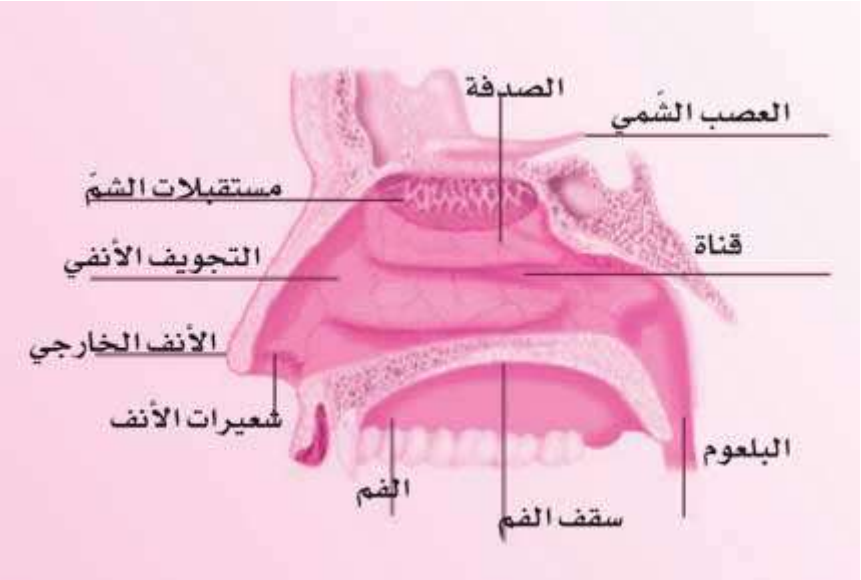

واللّسان هو العضو الّذي يتمّ النّطق به، وهو هامّ جدًّا في عمليّة إصدار الصّوت الغنائيّ، إذ أنّ كلاً من اللّسان والفك الأسفل يساعدان على تحقيق مرونة الصّوت عندما يصحّ استخدامهما.

ويضمّ الفم أجزاء كبيرة:

الجزء الأوّل: الحلق: وهو الجزء الواقع بين الحنجرة والفم.

الجزء الثّاني: اللّهاة: وهي نهاية الحنك اللّين، ويرى بعض الدّارسين أنَّه لا علاقة لها بالنّطق، فهي ليست من أعضائه، ويرى بعضهم أنَّها جزء من مخرج حرف القاف العربيّة.

الجزء الثّالث: اللّسان: وهو من أهمّ أعضاء النّطق، ولأهميّته سمّيت اللّغات به، فيقال: اللّسان العربيّ، أو اللّسان الإنجليزيّ، أو اللّسان الفرنسيّ، وهكذا. فهو عضو مرن للحركة يتّخذ أشكالاً وأوضاعًا متعدّدة.

الجزء الرّابع: الحنك: ويبدأ بالأسنان وينتهي باللّهاة وينقسم إلى ثلاثة أجزاء:

- مقدّمة الحنك أو اللّثة: يوجد خلف الأسنان العليا مباشرة، وهو محدّب ومحزّز.
- الحنك الصّلب أو وسط الحنك: وهو القسم المقعّر من سقف الحنك.
- الحنك اللّين أو أقصى الحنك: وهو القسم الأخير المحدّب من الحنك.
- والحنك الصّلب ثابت واللّين متحرّك قابل للرّفع وللخفض: إذا رفع الهواء من المرور عن طريق الأنف. وكثير من الحروف العربيّة تنطق عندما يتّخذ الحنك وضع الارتفاع. أمّا إذا انخفض فلا يبقى أمام الهواء إلا طريق الأنف فينطق في العربيّة حرفَيْ النّون والميم.

الجزء الخامس: الأسنان: وهي من الأعضاء الثّابتة، ولها بالفكَّيْن العلويّ والسّفليّ وظائف مهمّة في عدد من الأصوات، وأنّ أي نقص في انتظامها أو في عددها يوقع بعض الأحرف في خلل قبيح.

الجزء السّادس: الشّفتان: وهما من الأعضاء المتحرّكة، ولها أهميّة كبيرة في تشكيل بعض الأصوات.

ج – تجويف الأنف: وهو تجويف يندفع فيه الهواء عندما ينغلق الفم بانخفاض الحنك اللّين أو باللّسان، وهذه هي الحال عند نطق حرفَيْ النّون والميم.

كيفيّة إنتاج الصوت الإنساني:

تقوم ثلاثة أجزاء من جسم الإنسان بلعب الأدوار المطلوبة لإنتاج الصوت:

- الرئتان.
- الحنجرة والحبال الصوتيّة.
- الفم والأنف.

ينطلق الهواء من الرئتين إلى الحنجرة، حيث يمرّ بالحبال الصوتيّة التي هي المرحلة الثانية في عمليّة إنتاج الصوت وهي أهمّ الأجزاء الثلاثة، والحبال الصوتيّة هي زوجان من الأغشية الممتدّة بشكل عرضيّ في الجزء الأوسط من الحنجرة، تكون الحبال الصوتيّة في وضعها الطبيعيّ مفتوحة، وتقترب من بعضها في حال التحدّث على حسب الصوت المراد إصداره .

أمّا الجزء الثالث، فيتكوّن من الفم والأنف وملحقات الجهاز النطقيّ، ويتميّز الأنف بكونه يلعب دورين في هذه العمليّة، الأوّل: إدخال الهواء إلى الرئتين، والثاني: تشكيل الصوت أثناء عمليّة النطق.

يتكوّن الصوت عن طريق مرور الهواء عبر الفتحة بين الحبال الصوتيّة، والتي تهتزّ بالنتيجة مكوّنة الصوت، وبعد تكوّن الصوت نتيجة اهتزاز الحبال الصوتيّة، تقوم بقيّة أركان الجهاز النطقيّ (الفم والحلق والأسنان والأنف...) بتشكيل الصوت، ليعكس صوت الحرف المراد نطقه، كما تساهم جدران الحنجرة بتضخيم الصوت قبل وصوله إلى الفم.

المطلب الرابع:أهم خصائص الصوت وصفاته: ([1])

أولاً:العوامل المؤثّرة في قوّة الصوت وضعفه

1. العامل المولِّد للصوت:

هو مرتبط بالتكوين الخلقيّ للشخص، فالتكوين الخلقيّ لدى كلّ إنسان بشكلٍ أساسيّ، يجعل من هذه الصفة مختلفة بين شخصٍ وآخر، إذ إنّها ترتبط بحجم الرئة والهواء المدّخر فيها وقوّة النفس، مع سلامة حبلَيْ الصّوت والغشاء المخاطيّ المبطّن لهما، بمعنى أنّ أيّ خلل في هذا يؤدّي إلى تغيير في نبرة الصّوت وظهور بحّة الصّوت، وكذلك الالتقاء النّاعم بين حبلَيْ الصّوت، ومع استمرار الكلام ونفاذ تلك الطّاقة يخفت الصّوت شيئًا فشيئًا،فأنت قد تجدها في صوتٍ بمقدار قليل، وفي آخر بمقدار متوسّط، وفي ثالث تبلغ حدّاً عالياً جدّاً، عند ذلك نقول:

هذا الصوت ضعيف، وذاك متوسّط، والآخر قويّ، وحتّى يتّضح لك القصد لاحظ الشخص الذي ينقطع نفسه وهو يقرأ، ألا يضعف صوته، وربّما ينقطع أيضاً؟

2. محيط انتشار الصوت:

يُقصد به الوسط أو المحيط الذي ينتشر فيه الصوت، فضيق الوسط واتّساعه له أثرٌ كبير في قوّة وضعف الصوت، وله أثر على القارئ والمستمع.

---

1)علم الأصوات والمهارت الصوتية :اعداد مركز المعارف للمناهج والمتون التعليمية،اصدار دار المعارف الإسلامية الثقافية،الطبعة الأولى 2021-1443

جرّب أن تطلق صوتك في غرفة ضيّقة، ولاحظ كيف تسمعه.

جرّب أن تقف على حافّة وادٍ، وتطلق صوتك، ماذا تلاحظ؟

3. الأشياء المشدِّدة للصوت:

هذا العامل شبيه بجعبة الآلات الموسيقيّة التي وظيفتها تشديد الصوت وازدياد حجمه ودوامه، كذلك الإنسان يملك مشدِّدات للصوت، وهي موجودة في أربع نقاط، هي: الأنف –فضاء الفم– القفص الصدريّ – الجمجمة في الرأس.

هذه النقاط هي النقاط الرئيسيّة لتشديد الأصوات وتقويتها، وعلى هذا الأساس يكون حفظ الحالة الطبيعيّة، وسلامة كلّ جزء من هذه الأجزاء الأربعة، مؤثّرَين في علوّ الصوت وقوّته وحجمه ونوعيّته.

نلفت النظر هنا إلى أنّ الأجهزة الصوتيّة الموجودة حاليّاً لها الأثر الكبير في قوّة الصوت وضعفه وراحته، فنوعيّتها وكيفيّة استخدامها عاملٌ مؤثّرٌ سلباً وإيجاباً.

لتتضح لك الصورة، جرّب أن تقرأ على جهاز صوت ليس فيه مؤثّرات صوتيّة، ثمّ جرّب جهازاً فيه مؤثّرات، وستجد الفرق.

<u>أنواع الأصوات من حيث المساحات الصوتية</u>

أ. المدى الصوتيّ:

يسمّيه بعضهم بالارتفاع الصوتيّ، إلّا أنّ هذه التسمية غير دقيقة؛ لأنّها تبيّن جانباً واحداً من المسمّى، ألا وهو مدى الارتفاع في الطبقة الصوتيّة، وكأنّ الدرجة المنخفضة لا تتغيّر من شخص لآخر.

المدى الصوتيّ هو المسافة بين أعلى نقطة يصلها الصوت وأدناها، أي البعد بين أعلى جواب وأدنى قرار. وهذه الصفة مهمّة؛ لأنّها تبيّن مدى التنوّع في الطبقات التي يستطيع القارئ الإتيان بها. كما وأنّ المدى الكبير يمكّن القارئ من التنويع في الطبقات، وكذلك الإتيان بالقرار وجواب الجواب من دون تكلّف.

يزداد المدى الصوتيّ وينقص؛ أمّا الزيادة فبالتمرين المنظّم والمستمرّ، أمّا النقصان، فإنّه عادة يرجع إلى أسباب، منها:

- التقدّم في السنّ.
- إجهاد الصوت بالتمارين غير المنتظمة.
- استهلاك الصوت باستخدام الطبقات العالية بطريقة غير صحيحة.
- كثرة الإصابة بأمراض الحنجرة، وترك المبادرة إلى العلاج بسرعة.

من المؤشِّرات على استخدام الصوت بطريقة غير صحيحة الشعور بالألم في الحبال الصوتيّة، فالأداء السليم يجب أن يكون من دون تكلّف أو إرهاق، وأغلب الناس يحدّون من مداهم الصوتيّ لجهلهم بالأصوات الثلاثة (القرار والجواب وجواب الجواب)، فتجدهم يحاولون رفع صوتهم بالقرار –والمقصود رفع الصوت لا الطبقة– فيصطدمون بالحدّ الأعلى للقرار، والأسلوب الأمثل هو محاولة التدرّج من الطبقة الدنيا حتّى الطبقة العليا بقول (يا ربّ)

ب. الاتّساع الصوتيّ:

هو السعة العرضيّة للصوت، بعكس المدى الصوتيّ الذي هو صفة طوليّة، وكلّما زاد اتّساع الصوت كان أكثر رخامة وثقلاً.

إذا المدى الصوتيّ هو مسافة طوليّة بين الطبقة العالية والمنخفضة، بينما الاتّساع الصوتيّ هو ما يحدّد رخامة الصوت، فكلّما زاد اتّساع الصوت زادت رخامته.

هل يمكن زيادة اتّساع الصوتي؟

الجواب: إنّ اتّساع الصوت يعتمد بدرجة أساسيّة على التكوين العضويّ للحنجرة والحبال الصوتيّة، فالحبال الصوتيّة الغليظة تُنتِج صوتاً رخيماً، أمّا الحبال الدقيقة فتنتج صوتاً أكثر نعومة؛ لذلك تلاحظ أنّه عند إصابتك بالبرد، يكون صوتك أكثر رخامة بسبب انتفاخ الحنجرة والحبال الصوتيّة، لكن ثمّة عامل يساعد في زيادة رخامة الصوت أيضاً، وإنّ كثرة التمارين والممارسة تؤدّي إلى تقوية الأحبال الصوتيّة، وبالنتيجة زيادة اتّساع الصوت.

بعد العرض المتقدّم للمدى والسعة، اتّضح معنى المساحة. وللتوضيح أكثر يمكن أن أشبّه لك المساحة بقطعة أرض، تتوقّف معرفة مساحتها على معرفة حاصل ضرب طولها بعرضها، فهي تماماً كالمعادلة الرياضيّة التي تقول: (الطول × العرض= المساحة).

تُقاس مساحة الصوت عند أهل الموسيقى على درجات الأوكتاف (الديوان)، وعدد درجات الأوكتاف ثماني درجات:DO–RE–MI–FA–SOL–LA–SI–DO

فبقدر ما ينجز القارئ من درجات (الأوكتاف) تكون مساحة صوته، والحدّ الأدنى للأصوات الطبيعيّة **اثنتا عشرة درجة**، ومن يؤدّي دون هذا المقدار يُعدُّ صوته ضعيفاً. الحدّ الأقصى للصوت الطبيعيّ عشرون درجة، أي (2،5)

أوكتاف. وعندما يزيد عن هذا الحدّ، فإنّه يخرج من الطبقات الطبيعيّة، وأقصاها جواب الجواب.

من اللازم على كلّ قارئ أن يعرف مساحة صوته، ويتحرّك به ضمن تلك المساحة، ولهذا الشيء فوائد عديدة، منها:

- يساعده في الاستفادة منه في الأداء المتنوّع.
- يساعده في المحافظة على جماليّة الصوت.
- يساعده في قدرة التحمّل والقراءة لفترات أطول.
- يساعده في المحافظة على الصوت من دون أن يؤدّي إلى فقد شيءٍ من خصائصه.

هل يمكن للقارئ زيادة مساحة صوته؟

الجواب: نعم، وذلك من خلال زيادة المدى والسعة.

الجواب: كيف يمكن ذلك؟

عن معرفة نقطة البداية الطبيعيّة في الصوت (القرار) ومركز صوته الذي يساعد على الوصول إلى (الجواب) و (جواب الجواب)، فمتى عرف هذين الشيئين يستطيع أن يمرّن صوته إلى ما دون قراره، حتّى يصبح الجديد قراراً طبيعيّاً له. أيضاً يمكن أن يمرّن صوته لجهة الحدّ الأعلى في صوته ليتجاوزه، ويصبح الجديد حدّاً طبيعيّاً في صوته، وبهذا يمكن زيادة مساحة الصوت، إلّا أنّ هذا الشيء يحتاج إلى تفصيل والأصوات غالبًا لا تتجاوز نوعَيْن:

1- الأصوات الصّدريّة: أو الأصوات الضّخمة الّتي لها حجمها وشدّتها الخاصّة وارتفاعها القليل (حدّها التّوسّط)، وغالبًا ما نرى لها أوجًا وارتفاعًا، طبعًا هي من الأصوات المفضّلة لدى القرّاء، وحتّى عند أكثر النّاس من حيث الطّنين والطّابع الخاصّ الّذي يبعث على الخشوع والتّأمّل وجلب الانتباه.

2 - الأصوات الرّأسيّة: عُمْدة هذه الأصوات ناعمة ورفيعة وارتفاعها كثير، وتحتاج إلى نَفَس قويّ وانطلاق محكم من الحنجرة، تصل بسهولة إلى أعلى طبقة محدّدة للأشخاص الّذين يملكون هذه الأصوات، وفي نزولها لا تتجاوز حدّ التّوسّط.

وعلى كلّ حال، فإنَّ حفظ جمال الصّوت في الارتفاع العالي من أصعب الأمور للقارىء.

والجدير بالذّكر أنَّ لكلّ نوع من هذه الأصوات ضخامة ونعومة، لكن القدرة والحجم والنّداوة تتواجد مع ضخامة الصّوت الأوّل وفخامته، وتكتمل فيه وتتواجد وتبرز في النّوع الثّاني لكن مع العلوّ والأوج في الصّوت.

بالاضافة إلى ما عبّرنا عنه من نوع الصّوت، لا نريد أن نحدّده بهذه الخصائص فقط، بل للصّوت خصائص وصفات متعدّدة وهي تؤدّي إلى صفائه وجماله وعذوبته، فجمال الصّوت هو الشّيء المقبول والمريح للأذن المستمعة على عكس بعض الأصوات الّتي لا يكون لها قبول بشكل عامّ.

بالنّسبة لمساحة الصّوت ومرونته، فهو تخصّص المقامات و (الصّولفاج) بحيث يمكن للقارىء التّنقّل في الطّبقات والصّعود والنّزول بكلّ سهولة، والقرّاء متفاوتون في هذا الشّيء، فمثلاً الشّيخ سعيد الزّناتي يتحكّم بصوته بشكل خياليّ جدًّا جدًّا،

فنقول: مساحة صوته عالية ومرنة على عكس القارىء محمد محمود الطّبلاويّ، فمساحة صوته ليست عالية بحيث لا يستطيع الوصول إلى الطّبقات العالية بالشّكل المطلوب مع أنَّ فخامة صوته تعدّ من أجمل الأصوات الموجودة في هذا النّوع ،وهنا يجد بنا الحديث عن طبقات الأصوات وكيفية التنقل بينها .

ثانيا:طبقات الصوت([1])

تُقسّم طبقات الصوت إلى ثلاث طبقات:

1. القرار:

هو الصوت الطبيعيّ الذي يستخدمه الشخص حال التحدّث، ويسمّى (الصوت الصدريّ)؛ لأنّ اهتزازاته تحدث في منطقة الصدر، ويكون هذا الصوت غليظاً وكثيفاً، وهي الطبقة التي تبدأ به القراءة في أغلب الأحيان.

2. الجواب:هو درجة وسط بين القرار وجواب الجواب، ويكون متوسّط الحدّة والكثافة.

3. جواب الجواب:أعلى مستوى من الصوت يمكن إصداره، ويكون حادّاً وناعماً، ويسمّى (صوت الرأس)؛ لأنّ اهتزازاته تحدث في أعلى الرأس والتجويف الأنفيّ.

ملاحظة: بعض أهل هذا الفنّ، ولعلّ أكثرهم، يقول: إنّ جواب الجواب طبقة لا يمكن الوصول إليها إلّا بالآلات الموسيقيّة، أمّا الصوت البشريّ فلا يمكنه أن يؤدّيها، وعليه فإنّ الأمثلة التي مرّت تندرج تحت عنوان (الجواب العالي).

---

1)علم الأصوات والمهارت الصوتية :اعداد مركز المعارف للمناهج والمتون التعليمية،اصدار دار المعارف الإسلامية الثقافية،الطبعة الأولى 2021-1443

4-الصوت المستعار

يسمّيه بعضهم (الصوت الكاذب)، وهو صوت ذو طبقة عالية، لكن يغلب عليه الطابع الهوائيّ، وهو صوت باهت اللون والنكهة، يحتاج إلى جهد في أدائه، ويستخدم في العديد من الفنون، كالإنشاد وغيره؛ لأنّه يحاكي الطبقات العالية. هذا الصوت لا يستخدم في تلاوة القرآن، وغالباً ما يستعمل في الإنشاد، ويعبّر عنه المنشدون بـ (خلفيّة الصوت)، فهو يعطي جماليّة معيّنة.

يتمّ إصدار الأصوات المختلفة -كما ذكرنا سابقاً- بتغيير شكل الفتحة ومساحتها بين الحبال الصوتيّة، فمثلاً عند إصدار طبقة جواب الجواب، تُغلَق الفتحة بمقدار الثلثين، فيبقى منها ثلث مفتوح فقط.

ثالثا:المركز الصوتيّ

لكلّ شخص طبقة صوتيّة معيّنة، يكون فيها تحكّمه بصوته في أقصاه، ويكون الأداء في هذه الطبقة مريحاً وغيرَ مجهدٍ مع التمكّن من الإتيان بالألحان الجميلة، وتسمّى هذه الطبقة (المركز الصوتيّ). هذه الطبقة تختلف من صوت إلى آخر، واكتشافها له أهمّيّة كبيرة، كما سنبيّن.

أهمية المركز الصوتي وكيفيّة اكتشافه

تكمن أهمّيّة هذه الطبقة في أنّ القارئ يحتاج إلى أن يجعل (جوابه) مطابقاً لها، وبذلك يتمكّن من الوصول إلى أقصى مستوى وأدناه، الطبقة الوسطى، بأفضل صورة وأقلّ جهد، الطريقة الوحيدة لاكتشاف المركز الصوتيّ، هي التجربة ومحاولة تعرّف تلك الطبقة التي يكون أداء الشخص فيها أقلّ إجهاداً، بحيث يشعر فيها القارئ بأنّ صوته يعطي أقصى ما لديه.

في مجال حديثنا، يحتاج القارئ أيضاً إلى معرفة طبقة القرار المناسبة التي يبدأ بها؛ إذا قام القارئ باختيار طبقة القرار المناسبة، فإنّ جوابه سيستقرّ على مركز الصوت، وبالتالي سيكون قراره وجواب جوابه كلاهما في مجاله الصوتيّ، وهذا هو الوضع الأمثل للتلاوة.

لو قام القارئ باختيار طبقة القرار، بحيث تكون مرتفعة بعض الشيء، فإنّ جوابه سيكون أرفع من مركز الصوت، وعندها لن يستطيع الإتيان بالطبقة القصوى؛ لأنّها خارج مداه الصوتيّ. لهذا، فإنّ القارئ سيرهق بسرعة، ولن يستطيع أداء الكثير من الألحان والزخارف، بسبب الطبقة العالية.

قد يسأل سائل: ماذا عن الحالة التي يكون فيها جواب الجواب مطابقاً لأعلى نقطة في المدى الصوتيّ (سقف الصوت)، هل هي مناسبة أم لا؟

الجواب أنّها غير مناسبة، وذلك للأسباب الآتية:

الطبقة العليا في الصوت ليست دائماً متاحة؛ بمعنى أنّ أعلى نقطة في الصوت تعتمد على صحّة الصوت حين القراءة، فإن كان الصوت في أفضل حالاته، تكون الطبقة العليا قويّة، أمّا إن كان الصوت مشوباً بأيّ ضعف، فربّما لا يستطيع القارئ الوصول إلى تلك الطبقة.

لو افترضنا أنّ الصوت بصحّة جيّدة، وأنّ القارئ يستطيع الوصول إلى أعلى طبقة في صوته، فذلك سيبقى مُجهِداً للصوت، وسيظهر بسرعة؛ لذلك يفضّل أن تكون الطبقة العليا منخفضة بعض الشيء عن سقف الصوت.

يحتاج القارئ أن يجعل بين الطبقة العليا وسقف صوته هامشاً احتياطيّاً؛ ليتمكّن في حال حدوث أيّ خلل من الاستمرار في استخدام طبقة جواب الجواب.

لذلك، إنّ أهمّ شيء يحتاجه القارئ في هذا الجانب، أن يجرّب طبقات مختلفة للقرار في قراءته، وعندما يعرف الطبقة المناسبة له يجب عليه أن يحفظها جيّداً، والمراد من الطبقة المناسبة هنا طبقة القرار التي توصله عند الارتفاع إلى درجة الجواب المناسبة أيضا.

رابعًا :كيفية الحفاظ على الصوت وتوسيع مجاله وإضافة طبقات جديدة له

أ: إذا كنت في سنّ ما بين (14– 17) سنة يجب عدم إرهاق الصّوت، وعدم بلوغه الطّبقات المرتفعة.

ب: تقوية الحبال الصّوتيّة: طبيعة تدريب الحبال الصّوتيّة كتدريب العضلات كلّما شدّدت عليها أعطتك أكثر وقويت أكثر، ولكن طريقة تدريبها يجب أن يكون بدقّة وحرص، لأنَّها إذا جرحت أخذت وقتًا طويلاً في العلاج والشّفاء.

ج: تدريب الصّوت يكون بتجريب مدى الصّوت، يعني تبدأ بالقرار وترى صوتك أين ينتهي بالقرار، ثمَّ تحاول النّزول إلى طبقة أقلّ منه قليلاً، وتبقى تدرّب نفسك على هذه الطّبقة الجديدة حتّى تتقنها، فإذا اتقنتها وأصبحت من ضمن مجال صوتك تستطيع أن تصل إليها بسهولة، ثمَّ تحاول النّزول طبقة أخرى وتدرّب نفسك عليها، وهكذا كما الأسلوب الأوّل، وبهذه الحالة يمكن أن يزيد صوتك طبقتَيْن أو ثلاث في القرار بهذا الأسلوب.

د: أمّا بالنّسبة للجواب فيمكن أن تعمل نفس عملية تدريب الصّوت بسرعة فيجب أن تصعد فوق طبقة جواب صوتك شيئًا قليلاً، وتبقى تدرّب نفسك عليه ببطء، ولا تتعجّل حتّى تصبح النّغمة الجديدة العالية من ضمن مجال صوتك، ولا تنهك صوتك بحيث إذا أحسست أنّك خلال التّدريب على أيّة طبقة جديدة قد أنهكت

صوتك فأوقف التّدريب وأرِح صوتك يومًا، ثمَّ تابع عمليّة التّدريب. هذا بالنّسبة لتدريب الصّوت على اكتساب طبقات جديدة أعلى وأخفض من الصّوت العادي.

هـ: مهمّ جدًّا أن يرتاح الصّوت لمدّة يوم كامل عند الإحساس بأيّ تعب صوتيّ وعدم إجهاده، وإلاّ جرح الصّوت يحتاج مدّة أسبوع على الأقلّ لكي يعود سليمًا.

و: وكذلك على القارىء والمنشد قبل تدريب الصّوت معرفة مدى مساحة الصّوت لكي يعلم من أين يبدأ باكتساب طبقات جديدة، ولا يجب أن تؤدّي الطّبقة الجديدة بالصّوت المصطنع بل بالصّوت الطّبيعيّ، لأنّ الصّوت المصطنع من ضمن مجال الصّوت الطّبيعيّ.

ز: ويجب أن لا يكثر المتدرّب من شرب السّوائل الباردة، لأنّها تشدّ الأحبال الصّوتيّة ولا تجعلها مرنة وأكثر قدرة على تحقيق وإنجاز التّدريب.

خامسًا:رنين الصوت وطنينه(الرنة:نوع الصوت)

وهي الصّفة المعرّفة والمميّزة لأصوات القرّاء، فلكلّ إنسان صوته الخاصّ به، ومختلف عن أصوات الآخرين. فكأنّه ملامح الوجه أو بصمات الأصابع أو التّكوين العامّ للجسم، فكما أنَّ للإنسان شخصيّة مميّزة عن الآخرين، كذلك صوته يميّزه عن أصوات الآخرين. والحنجرة – بحبالها الصّوتيّة – هي الّتي تحدّد هذه الشّخصيّة الصّوتيّة، فربّما تكون كبيرة ذات حبال صوتيّة قويّة تصدر أصواتًا عالية، وربّما يكون رخيمًا أو حادًّا.

وقد ذكرنا أنّ نوعيّة الصّوت الصّادر عن حنجرة كلّ إنسان هي علامة مميّزة له، وأشبه بتلك البصمات لأطراف الأصابع الّتي تميّز كلّ شخص عن غيره. وهذه العلامة أو الصّفة المميّزة هي الّتي تميّز الأصوات بعضها عن بعض، لأنَّها

تتعلّق بتجويف الفم، وتختلف كلّ واحدة باختلاف هذا التّجويف، إذ لا علاقة للرّنّة في قوّة الصّوت ونبرته، وقد يصل الإنسان بالتّمرين إلى تبديل رنّة صوته كما يفعل المقلّدون في محاكاة غيرهم من النّاس أو محاكاة أصوات الحيوانات.

فالرّنين والطّنين الصّوتيّ الجميل يجعل لصوت القارىء جاذبيّة وجمالاً، إذ يستطيع السّامع أن يميّزه عن سائر أصوات القرَّاء مع أنّ قواعد التّجويد والالتزام بها عمليًّا في القراءة تسبّب حبس مقدارٍ من الصّوت، وعدم إبراز الصّوت وانطلاقه كاملاً.

فلو علمنا هذا، نقول: إنّ حبس الصّوت أكثر من هذا المقدار يكون مانعًا قويًّا لإبراز الرّنين ولطافة الصّوت.

وعلى هذا، نجد بعض القرَّاء يرفعون أصواتهم إلى درجات عالية فيتشابهون في هذه المزيّة في رفعة الصّوت وأوجه، ولكن ما يميّزه إلا الطّنين الخاصّ لكلّ واحد منهم. إذن الطّنين هي الخاصيّة المهمّة لتميّز الأصوات المتشابه في القوّة والارتفاع ،ومن الخطأ أن نقول: صوت هذا القارىء يملك طنينًا ولونًا جميلاً، لأنّ الأصوات كلَّها تملك صفاتِها وألوانَها الخاصّة بها، وبالأحرى نقول في سبيل المثال: هذا القارىء يملك طنينًا ورنينًا أجمل وأحسن من القارىء الفلانيّ.

عندما نقلّد الكبار من القرَّاء ينبغي أن نتوجّه إلى مختلف حالة أصواتهم والتّغييرات الّتي تحدث فيها، لعلّ الشّيخ المنشاويّ هو النّموذج الواضح لهذا الموضوع، إذ أنَّه تفرّد بين كثير من القرَّاء لصوته الفاتن والجذّاب، خاصّة في إبراز هذه الخصّيصة، والأستاذ القارىء المبتهل الشّيخ محمّد عمران الّذي يعتبر من النّوادر في الأصوات العربيّة والنّجم السّاطع في سماء التّلحين، وهو من أبرز العناوين للتّعرّف على الأصوات الرّخيمة والخلابة، فيجدر بالقرَّاء الكرام ملاحظة

حالات صوته وتلوينه للنّغمات العربيّة، وقدرته في الأداء والتّصرّف بمختلف صفات الأصوات وخصائصه لا سيّما الرّنين والطّنين.

سادسًا:المرونة في الأصوات (الانعطاف الصوتي)

المراد من المرونة والصّوت المرن قابليّته للتّحرّك المنسجم والمنسّق بين الدّرجات وانتقاله من درجة إلى درجة، وهي من الخصائص الذّاتيّة في الأوتار الصّوتيّة الّتي تسمح للإنسان الحركة والانتقال بين الدّرجات والطّبقات في صوته، وأن يغيّر الصّوت من حالة إلى حالة، وكلّما ازداد الصّوت مرونة وتحرّكًا تكثر الانتقالات والتّغييرات بين الدّرجات والفواصل الصّوتيّة بسرعة في أقلّ زمان وبأحسن كيفيّة يبتغيها الإنسان، فإذا فقد الصّوت هذه الخاصيّة المهمّة يخرج من إطار الأصوات الحسنة والجميلة مع وجود سائر الصّفات المحسّنة والخصائص الأخرى، خاصّة عند القرّاء والمنشدين.

من جانب آخر لا يتمكّن القارىء في التّنقّل الصّحيح بين الطّبقات المتدرّجة – حسب الدّيوان الصّوتيّ – والمقامات إذا لم تتوفّر عنده مرونة الصّوت كما ينبغي. فبالنّتيجة للحصول على المزيد من الانسجام والسّرعة أثناء التّلاوة، خاصّة لقراءة التّدوير مع وحدة الايقاع والدّمج بين النّغمات، ينبغي أن نحصل على صوت مرن مهما استطعنا.

هذه الجوهرة الأصيلة من مواهب الله سبحانه ومن أحسن النّعم الّتي يمنحها لمن يشاء من عباده، فمع الإقرار بهذه النّعمة يظل أيضا للتّمرين والتّدريبات الصّحيحة أثر في تقوية الصّوت وتحسينه ومرونته، خاصّة مع بروز صفاته الجميلة والمرغوبة لدى المستمعين.

سابعًا:التّرجيع والنّبرات الصّوتيّة المنتظمة:

وهي من الفنون الجذّابة في الأصوات المرنة ،فنقول في تعريفها الفنّيّ: الحركة السّريعة أو الانتقال المكرّر السّريع بين الدّرجة الأصليّة وأعلاها بما يناسب المقام والسّلّم الحالي، فيحصل ميزان التّرجيع بواسطة مهارة الشّخص في تغيير هذه الفواصل القريبة بأسرع ما يستطيع في فاصلة زمنية قليلة جدًّا، حسب اختيار وذوق الأشخاص في انتخاب نوعيّة التّرجيع كمًّا وكيفًا.

الصّوت المرن بحسب نبراته يكثر فيه التّرجيع والحركة لأنّه مهيّأ لهذه الحركة والتّغييرات السّريعة في فواصله، فلو علمنا أنَّ صوتًا فيه مرونة مقدارًا ما، فعلينا أن نبادر بالتّمرين والتّدريب الصّحيح، لنقوّي هذه الخاصيّة الجميلة لنكثر فيه النّبرات والتّرجيعات المنسجمة وفقًا للأصول والضّوابط التّمرينيّة في الصّوت والمقامات. ومن أهمّ القابليّات المتوفّرة في الصّوت ترجيعًا مناسبًا حسب المقال والمقام، كما أنّها العامل الرّئيسيّ لتحسين الصّوت في التّلاوة والدّعاء ،ومن أبرز خصائصه.

<u>معنى التّرجيع في الصّوت وما هو حكمه؟</u>

الجواب: التّرجيع في الصّوت هو ترديده في الحلق بالرّفع والخفض والتّرقيق والتّفخيم بنحو متناسق ومتناسب، وترجيع الصّوت لا يكون محرّمًا مطلقًا، فالتّرجيع يكون في تلاوة القرآن والأذان والحِداء والرّثاء.

– فإنّ المراد بالتّرجيع ترديد الصّوت في الحلق، ومن المعلوم أنّ مجرّد ذلك لا يكون غناءً إذا لم يكن على سبيل اللّهو.

المبحث الثالث : الأداء القرآني مفهومه و مراتبه و أهميته

يمثل الأداء الصوتي جانباً مهماً من جوانب اللغة،وأساساً من الأسس التي يبنى عليها الكلام،وتدرك من خلالها الأفهام مراد المتكلم الذي قد تطرب السامع أو تحزنه طريقة إيقاعه. فلطبيعة أداء العبارة،ولطريقة النطق بها، أثر واضح ومهم في صياغة المعنى،وتوجيه الدلالة، يقول أحد الباحثين المحدثين: " إن اللغة المنطوقة هي اللغة المثلى للمحاكاة ؛ لأنها الوحيدة القادرة على حمل التعابير التي يريد المتكلم أن يبلغ عنها ".[1]

فبتلون الإيقاعِ،وتعدد الأنغام، تتلون المعاني وتتعدد الأغراض،ومن هنا كان للأصوات قيمتها المعنوية التي تؤثر أثرًا بالغاً في تحديد دلالات الكلمات، وبحسن الأداء وحلاوته تقضى الحاجات وإن عظمت بدليل قول عمر بن عبد العزيز –رضي الله عنه–لرجل أحسن في طلب حاجة: " وتأتى لها بكلام وجيز ومنطق حسن؛ هذا والله السحر الحلال."[2]

" وبحسن الأداء وحلاوته تفاضل الخطباء وتفاوت الشعراء بل القبائل والأحياء ومما يدل على ذلك مارواه أبو اليقظان قال: قال عمربن عبد العزيز: ما كلمني رجل من بني أسد إلا تمنيت أن يمد له في حجته حتى يكثر كلامه فأسمعه." [3]

ولما كان أداء الكلام بهذه المنزلة كان جديراً أن نتعرف عليه في آي الذكر الحكيم خاصة حيث يفوق في حسنه وشدة تأثيره وقوة إيقاعه أداء أي منطوق آخر ولاسيما إذا قرئ مجوداً حيث تتضح أهميته ويظهر أثره في نفوس السامعين

---

1)مدخل إلى معرفة اللسانيات – د/ محمد إسماعيل بصل صـ ١١١ بتصرف – دارالمتنبي / دمشق.

2) شرح صحيح البخاري لابن بطال – مكتبة الرشد / السعودية، الرياض– ط/ ثانية ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م،والبيان والتبيين – الجاحظ – تح/المحامي فوزي عطوي صـ ١٣٩ – دارصعب/ بيروت – ط/أولى ١٩٦٨م.

3)البيان والتبيين ص104

لـه.وقبل ذلك علينا أن نتعرف على مفهوم الأداء عامة،والأداء القرآني خاصة،ونبين كيفيته ومراتبه، ونوضح أهميته،وأثره في نفوس المستمعين وذلك على النحو التالي:

الأداء في اللغة هو: مصدر أدى الشيء أي: قام به،وأدى الدين: قضاه،والصلاة: قام بها. لوقتها، والشهادة: أدلى بها ...وقضائه على أكمل وجه .فالمادة تدور حول معنى قيام الشيء[1] والأداء: التلاوة

واصطلاحاً أداء الكلام هو: التلفظ به حسب أعراف وقواعد معينة للتعبير عن المعاني المختلفة، فاللفظ هو أهم مكونات الكلام إلا أنه في كثير من الأحوال مفتقر إلى مكونات الكلام الأخرى ؛كعناصر السياق المقامي،ومقاصد المتكلم،ودلالات الصيغ ومعاني التركيب.... وغيرها في إيصال المعاني الدقيقة إلى المستمع."[2]

أو هو: الصورة النطقية التي تأتي عليها اللغة المنطوقة بأصواتها وكلماتها وجملها.[3] أو هو الصورة الصوتية التي يؤدى بها الحدث الكلامي.[4]

وفن الأداء هو فن الإلقاء ويعنى به: "المهارة الفنية في استغلال الصوت بما يخدم الإنسان في تعامله واتصاله بالآخرين في شكل جميل وممتع ومثير."[1]

---

1) لسان العرب – ابن منظور(أدا) – دارصادر/ بيروت –ط/ثالثة ١٤١٤هـ ،والقاموس المحيط – الفيروز

2) أداء الكلام وعلاقته بالمعنى والإعراب – محمدبن علي العمري – مجلة جامعة أمالقرى لعلوم اللغات وآدابها . العددالثالث صـ ١٥ – ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

3) علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة – د/عبدالعزيز أحمد علام صـ ٢٣ –ط / أولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م،والإدراك الآلي للنظام الأدائي في اللغة العربية في ضوء ظاهرة التزمين – د/ أميرة زين المملكة العربية السعودية / كلية التربية للبنات مكة المكرمة

4) أسباب التعدد في التحليل النحوي – د / محمود حسن الجاسم صـ ٣٦.

وتسمى هذه المهارة بـ الأداء الشفاهي: وهو ما يتحقق بواسطة الوصف الأكوستيكي (الفيزيائي) للنص حال قراءته، أو الاستعانة برواة ومتابعة مديات الصوائت،والصوامت والنبرة والتنغيم[2]

ويتكون هذا النوع من الأداء من عناصر مختلفة كـ النبر ،والتزمين،والطول، والتنغيم،والوقفات،والإيقاع.[3]

وتكون هذه العناصر أكثر وضوحًا في الأداء القرآني خاصة إذ لا بد فيه من: أنواع السرعة التي تنطق بها الكلمات والجمل وهو الذي يسمى التزمين،ومن تتابع خط اللون للأصوات،ومن نظام الوقفات من حيث عددها وحجمها في الكلام، كما نطق بها في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – من حيث تحقيق الحروف وإعطاؤها حقها دون حيف أوتقصير أو زيادة من غير تكلف أوتصنع،ومن حيث إجادة الوقف ومعرفة ما يحسن منه وما يقبح،ومن حيث الكيفية النطقية لها حين تمتزج بما يجاورها ،وهو ما يسمى بالصورة الصوتية لبعض حروف العربية كالغنة والإمالة والتفخيم والترقيق والإدغام بنوعيه والإشمام... إلخ.

وعلى هذا يمكننا أن نصف الأداء القرآني بأنه: الأداء الذي تحكمه معايير خاصة على مستوى الإخراج والصفات حال تلاوة النص الكريم.

وقد بين أبو عمرو الداني – رحمه الله –حدود القراءة السليمة المجودة وميزها عن القراءة الملحونة فذكر أنها القراءة السهلة العذبة الحلوة اللطيفة التي لا مضغ

---

1) الأداء الصوتي في اللغة العربية – د / سالم محمد سالم– مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية مجلد(٢) العدد(٢) ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥مصـ ٢١٤نقلا عن فن الإلقاء – د/ عبدالحميد حسن صـ ٧ –دارالثقافة الإسكندرية

2) الأداء الصوتي في المستوى الأسلوبي – رسالة ماجستير في كلية الآداب/ جامعة القادسية قسم اللغة العربية وآدابها – للباحث/ عادل نذيربيري الحساني صـ ١ – ١٤٢٣هـ / ٢٠٠١م.

3) عن علم التجويد القرآني صـ ٢٧، ٢٨.

فيها ولا لوك ولا تعسف ولا تكلف ولا تصنع ولا تنطع ولا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءات والأداء." [1]

وهذه السمات الأدائية يتفاوت فيها القراء تفاوتاً كبيرًا،وتعد أهم العوامل التي تبرز جمال أداء القارئ وتبرهن على فقهه بالمعنى القرآني ومقام الآية أو غرضها، فلكل مقام أو غرض طريقة أدائية تناسبه وتختلف عن غيره.

أما فائدة الأداء: فهي تبرز وتتضح أساساً من اتصاله بالأداء الصحيح والمتميز لكتاب الله – عز وجل – أكثر من أي منطوق آخر، فأي خلل في أدائه يؤدي إلى خلل في فهم معناه، والوقوف على أسراره ؛لذا كان تعلمه من أجل العلوم نظراً لهذا الارتباط، فقد ورد عن الإمام حمزة أنه قال: " إن الرجل يقرأ القرآن فما يلحن حرفاً. أو قال: ما يخطئ حرفاً وما هو من القرآن في شيء.[2]

والأداء بهذه الصورة يختلف باختلاف فنون القول الأخرى، بل يختلف في الفن الواحد باختلاف الحالة النفسية للمتكلم،وفي الحالة النفسية الواحدة يختلف باختلاف شخصية المتكلم، بل يختلف كذلك باختلاف نوع الجملة. [3]

مراتب الأداء القرآني وكيفياته

مع أن القرآن الكريم نزل بالعربية وببيانها وعلى أساليبها، فإن له قراءة خاصة به وأحكاماً تجويدية يتلى بها وفقًا للطريقة الثابتة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهذا ما يعرف بالترتيل أو التجويد الذي اختص بأنه قابل للتنغيم والصوت الحسن اللذين ثبتا للقرآن وحده من سائر النثر العربي الفني.

---

1)النشر في القراءات العشر – ابن الجزري – تح/ علي محمد الضباع /١ ٢١٣ – المطبعة التجارية.

2)التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد – أبو عمرو الداني – تح د/ غانم قدوري حمدصـ ٨٤ – دارالأنبار/ بغداد –ط/أولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٨م

3) عن علم التجويد القرآني صـ ٢

فلتلاوة القرآن الكريم أسلوب فريد،ونموذج رائع جمع بين استحسان الشرع، وملائمة الطبع، بحيث يحقق الهدف المنشود من تلاوته،وهذا الأسلوب الخاص الذي تفرَّد به القرآن الكريم تلاوةً وأداءً – يعتمد أساساً على تصحيح الحروف،وإجادة الوقوف، وتدبُّر المعنى،وتفهم المغزى، مع حسن الأداء الصوتي،وجمال النطق به،والترديد له.

والحق أن تلاوة القرآن الكريم لا تنحصر في الترتيل وإن كان أعلى المراتب حيث ينقسم الأداء القرآني إلى ثلاث مراتب هي المراتب المعروفة في علم القراءة والتجويد للقراءة،ومحور تقسيمها وحيثيته هو مدى التأني والتؤدة، مع بقاء الأركان الأخرى للترتيل كما هي، فللتأني وللطمأنينة المقبولة في علم القراءة أعلى وأوسط وأدنى، فالأعلى اصطلح عليه بالتحقيق أو بالترتيل(بالمعنى الخاص)،والأوسط يدعى بالتدوير، والأدنى يدعى بالحدر... ولكنها تشترك في جميع أركان الترتيل(بالمعنى العام) وتتفاوت في ركن واحد هو التأني والتؤدة..."

قال الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه اللَّه :– " اعلم أن الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر، فإن العجميَّ الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له – أيضاً – في القراءة الترتيل والتؤدة ؛ لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيرًا في القَلْب من الهَذْ رمَة والاستعجال .فالترتيل إذاً هو الأداء الأمثل الذي انفردت به تلاوة كتاب الله،وتميَّزت به عما عداه في النطق والأداء.

المبحث الرابع: أثر جمال الأداء القرآني في نفوس المستمعين

لجمال الأداء دور مهم في استمالة القلوب ووضوح المعاني والأفكار ولا يتحقق ذلك إلا بتوافر أمور معينة في القارئ لآي الذكر الحكيم خاصة،وتحسن في الإلقاء عامة، وقد أجملها الجاحظ في حديثه عن فصاحة المتكلم حيث قال: " إن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة،وإلى ترتيب ورياضة،وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة،وإلى سهولة المخرج، وجهارة المنطق،وتكميل الحروف،وإقامة الوزن،وإن حاجة المنطق إلى الحلاوة والطلاوة كحاجته إلى الجزالة والفخامة، وأن ذلك من أكثر ما تستمال به القلوب وتثنى [1]به الأعناق وتزين به المعاني ."وإذا كان للأداء هذا الدور في إظهار فصاحة المتكلم،وفي نفوس المستمعين فهو في أداء القرآن الكريم أجلى وأوضح ؛ لما تتميز به لغة القرآن من مميزات كثيرة – على النحو الذي سيأتي تفصيله – تجعل القارئ يستطيع أن يلون في أدائه وينوعه بطرائق شتى تجعل سامعه وإن كان أعجمياً لا يمجه،وقارئه لا يمله، فتلذ له الأسماع،وتشغف له القلوب. فحسن تلاوته وترتيله أول الطريق الرئيس إلى فقه معناه المؤدّي إلى حسن التزام هديه أمراً ونهيا.

والتجويد أبعد ما يكون عن التكلف في النطق، والتعسف في الأداء، يقول أبو عمرو الداني، مشيرًا إلى الصور المرفوضة في الأداء، والتي ينبغي أن ينأى عنها القراء: فليس التجويد بتمضيع اللسان، ولا بتقعير الفم، ولا بتعويج الفك، ولا بترعيد الصوت، ولا بتمطيط الشد، ولا بتقطيع المد، ولا بتطنين العنات، ولا بحصرمة الراءات، قراءة تنفر منها الطباع، وتمجها القلوب والأسماع، بل القراءة السهلة العذبة، الحلوة اللطيفة التي لا مضغ فيها، ولا لوك، ولا تعسف، ولا تكلف، ولا تصنع ولا تنطع، ولا تخرج عن طباع العرب، وكلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءات والأداء.

[1])البيان والتبيين ج1 ص14

والوصول إلى المستوى الصحيح من تجويد القرآن، يتطلب مزيدًا من الدربة، والمران، والتلقي عمن يحسن الأداء، وكلما أمعن القارئ من الدربة، والرياضة على القراءة الصحيحة، بعيدة عن مساوئ التكلف وصل ما يريد من التجويد.[1]

وقد روى ابن الجزري بسند صحيح عن أبي عثمان النهدي قال: " صلى بنا ابن مسعود المغرب بـ [قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ] ثم قال فوالله لوددت أنه قرأ بسورة البقرة من حسن صوته وترتيله ." ...أيضاً: " ولقد أدركنا من شيوخنا من لم يكن له حسن صوت،ولا معرفة بالألحان، إلا أنه كان جيد الأداء، قيماً باللفظ. فكان إذا قرأ أطرب السامع،وأخذ القلوب بالمجامع،وكان الخلق يزدحمون عليه،ويحبون الاستماع إليه، أمم من الخواص والعوام، يشترك في ذلك من يعرف العربية ومن لا يعرفها من سائر الأنام مع تركه مجماعات من ذوي الأصوات الحسان، عارِفين بالمقامات والألحان لخروجهم عن التجويد والإتقان ."

وقد أقر بهذه الحقيقة – (الأثر الذي تحدثه حسن تلاوة القرآن في نفوس مستمعيه وبعظمة القرآن) –بعض المستشرقين ومن هؤلاء يقول الكونت هنري ديكاستري (١٨٥٠ – ١٩٢٧)Castries de.H.Cte وهو مقدم في الجيش الفرنسي وقد قضى في الشمال الإفريقي ردحاً من الزمن: " إن العقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمي وقد اعترف الشرق قاطبة أنها آيات يعجز فكر بني الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظاً ومعنى. آيات لما سمعها عقبة بن ربيعة حار في جمالها،وكفى رفيع عبارتها لإقناع عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فآمن برب قائلها،وفاضت عين نجاشيّ الحبشة بالدموع لما تلى عليه جعفر بن أبى طالب سورة زكريا وماجاء في ولادة يحيى،وصاح أن هذا الكلام

---

[1]) مدخل في علوم القراءات: السيد رزق الطويل (المتوفى: 1419هـ)الناشر: المكتبة الفيصلية الطبعة: الأولى 1405هـ - 1985م ص144

واردٌ من موارد كلام عيسى– عليه السلام –لكن نحن معشر الغربيين لا يسعنا أن نفقه معاني القرآن كما هي لمخالفته لأفكارنا، ومغايرته لما ربيت عليه الأمم عندنا، غير أنه لا ينبغي أن يكون ذلك سبباً في معارضة تأثيره في عقول العرب...وكيف يعقل أن النبي – صلى الله عليه وسلم – ألّف هذا الكتاب باللغة الفصحى مع أنها في الأزمان الوسطى كاللغة اللاتينية ماكان يعقلها إلا القوم العالمون.. ولو لم يكن في القرآن غير بهاء معانيه وجمال مبانيه لكفى بذلك أن يستولي على الأفكار ويأخذ بمجامع القلوب.[1]

المبحث الخامس: جمال الأداء القرآني كيفيته والآثار الواردة فيه[2]

التفاوت سنة من سنن الله الثابتة،ومن ذلك تفاوت الناس في قدرتهم على أداء كلامهم في طبقات شتى ما بين عيي لا يكاد يبين وما بين صاحب بيان يكاد يسمع من به صمم .فلكل صوت طابعه المميز الذي يحدده بناء الرأس والعنق والوجه وطريق اهتزاز الطيات الصوتية ووسيلة تشكيل فتحة المزمار،كما يحدده أيضاً طريقة المتحدث الكلامية: درجة وضوح أصواته،وسرعة أدائه،وتنغيم جملته، مما يدل على شخصيته أكثر مما تدل عليه الكلمات المنطوقة،ولذلك فإن تجاوب المستمع لا يحدده: ماذا يقال؟ بقدر ما يحدده: كيف يقال؟ .[3]

---

1) قالوا عن القرآن د عماد الدين خليل ص30

2)من كتاب :جمال الأداء لآي الذكر الحكيم في ضوء علم الصوتيات د. ممدوح إبراهيم محمود محمد كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ـ فرع أسيوط عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ص114.

3) دراسات صوتية – د/ تغريد عنبر صـ ١٤٨ – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم القاهرة ١٤٠١ هـ١٩٨٠/م

وعلى هذا نجد أن نطق اللغة الواحدة يختلف– قليلاً أو كثيراً – في أفواه أبنائها ويخضع ذلك لعوامل عديدة يرتبط معظمها بالتنفس،حيث يبرز أثره واضحاً في التمييز بين الأصوات الصادرة عن شخصين أو أشخاص مختلفة ؛ لما له من ارتباط وثيق بكمية الهواء شهيقًا كان أو زفيرًا حيث ترتبط أكبر كمية هواء يمكن إخراجها عند أقصى زفير سبقه أقصى شهيق– (طاقة التنفس الحيوية) – بعدة عوامل مثل: نوع الشخص،وبيئته وقدرته الفيزيقية،ومهنته،ووزن جسمه وطوله،ومحيط صدره،كما أن طاقة التنفس الحيوية تزيد عند الوقوف بسبب نقص الدم في الرئتين.[1]

وهذا الكلام الذي يتفاوت الناس في أدائه شريان رئيس من شرايين الحياة وركن ثابت من أركانها، ارتبطت به كثير من أمور الشرع، فبه يُدخَلُ في الإسلام،وبه يذكر الله ويعبد،وبه ينادى للصلاة،وبه يُقرأ القرآن..... ؛والنية في كل ذلك خلفه.... ولأجل هذا كله أولى الإسلام أداء الكلام عناية تتناسب مع قدره، فكان محمد – صلى الله عليه وسلم – المثل الأعلى فيه .عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: " كان كلام رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كلاماً فصلاً يفهمه كل من يسمعه"،وقد حث الإسلام على حسن الصوت وعلى جمال الأداء عند قراءة القرآن الكريم، بل جعل الإسلام أداء القرآن من تمام الإسلام، إذ تذكر الروايات الكثيرة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – هو أوّل من أسّس تلاوة القرآن وقراءته بصوت حسن،وكان يؤكّد كثيرًا على قراءة القرآن بالأصوات الحسنة فجاءت في هذا المجال أحاديث كثيرة تؤكّد حسن الأداء والقراءة الصحيحة بل دعت صراحة إلى التغني بالقرآن الكريم حال ترتيله فقد صح عن " :النبي – صلى الله عليه

---

1) دراسات صوتية – د/ تغريد عنبرصـ ١٤٨ – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم القاهرة ١٤٠١

وسلم – أنه قال: " ليس منا من لم يتغن بالقرآن "ومعنى (يتغنى): قال النووي : تحسين الصوت وتطييبه بالقراءة من غير تغريد."[1] وقيل يحسن صوته بالقرآن الصوت.

ومعنى ذلك: أن إجادة الترتيل ليس لها حد تقف عنده، وأنها قابلة للتطوير إلى الحد الذي لا يفسد المبنى،ولا يلهي عن المعنى.ومن هنا نعلم أن حسن الأداء – وهو جزء من دراسة الأصوات وطرق أدائها – لا يتأتى إلا باتباع سنن أهل اللغة في النطق، والاهتمام بالجانب التطبيقي،والتعود على مجاراة الفصحاء،والسماع للقراء المجودين. فالقراءات التي نسمعها من القراء من وقف،ومد،وسكت،ومدود مختلفة هي التنغيم. هذه الجوانب المشرقة في تراثنا يجب أن نضع أيدينا عليها؛ لأن حسن الأداء ووضوح المعاني من أهم ما سعى إليه العلماء .

والفرق بين حسن الأداء وحسن الصوت في القرآن الكريم: أن الهدف من تعلّم حسن الأداء هو العمل بأقوال الرّسول بتحسين الأداء لنصل إلى درجة الخشوع والتّأمّل في الآيات عند سماعها بأداء يريح القلب ويطرب الأذن ويسعد السّامع، فالهدف بالتالي هو حُسن الأداء وليس فن الغناء ؛ لأن حسن الأداء فرض في القراءة،ويجب على القارئ أن يتلو القرآن حق تلاوته صيانة للقرآن عن أن يجد اللحن والتغيير إليه سبيلا على أن العلماء قد اختلفوا في وجوب حسن الأداء في القرآن فبعضهم ذهب إلى أن ذلك مقصور على ما يلزم المكلف قراءته في المفترضات، فإن تجويد اللفظ وتقويم الحروف وحسن الأَداء واجب فيه فحسب،وذهب الْآخرون إلى أن ذلك واجب على كل من قرأَ شيئًا من القرآن

---

1) المنهاج شرح صحيح مسلم – أبو زكريا بن شرف النووي ٦/٧٨ – داراحياء التراث العربي/ بيروت –ط/ثانية ١٣٩٢هـ.

كيفما كان ؛ لأنه لا رخصة في تغيير اللفظ بالقرآن وتعويجه واتخاذ اللحن سبيلاً إليه قال الله تعالى(:قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ.) وهذا الخلاف على الوجه الذي ذكره غريب ، والمذهب الثاني هو الصحيح.

أما الصوت هو من أحد وسائل حسن الأداء .وتعريف جمال الأداء : الجمال لغة: الجمال مصدر الجميل،والفعل جَمُل، قال تعالى(:وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ) بمعنى : البهاء والحسن.

واصطلاحاً هو:ما يثير فينا إحساساً بالانتظام والتناغم والكمال،وقد يكون ذلك الجمال في مشهد من مشاهد الطبيعة،أو في أثر فني من صنع الإنسان." [1] والمقصود بجمال الأداء في القرآن الكريم هو: توازن الصوت وتناغمه وتوافق طبقته.

طبقاً للمقام والمعنى مع مراعاة أحكام التجويد .والناس عامة والقراء خاصة في جمال الأداء وحسن الصوت متفاوتون ويتفاضلون، وقد كان أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – يتفاضلون فيحسن تغنيهم بالقرآن،ويثني النبي –صلى الله عليه وسلم– عليهم كلذلك –كما سبق...–وقد عدوا من حكم تلاوة النبي – صلى الله عليه وسلم – على أبي " أن يتعلم أبي ألفاظه،وصيغة أدائه،ومواضع الوقوف،وصنع النغم في نغمات القرآن على أسلوب ألفه الشرع وقدره بخلاف ما سواه من النغم المستعمل في غيره."[2]

---

1)جماليات الإيقاع الصوتي في لغة القرآن الكريم– ماجستير بكلية الآداب واللغات/ جامعة محمد بسكرة في الجزائر للباحث/ محمدالصغير صـ ٩سنة ٢٠١٢م – نقلا عن: المعجم الأدبي – جبور عبدالنور صـ ٨٥ – دارالعلم للملايين/بيروت١٩٨٤م.

2) التغني بالقرآن – لبيب السعيد صـ ١٠ – الهيئة العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠م

فالاختلاف في جمال الأصوات البشرية وحسن الأداء مسألة طبعية ،وقد وضح ذلك الإمام البخاري في قوله: " بين النبي – صلى الله عليه وسلم – أن أصوات الخلق وقراءاتهم ودراستهم وتعليمهم وألسنتهم مختلفة بعضها أحسن وأزين وأحلى وأصوت وأرتل وألحن وأعلى وأخف وأغض وأخشع.وقال :" وَخَشَعَتِ الْأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً ،وأجهر وأخفى وأمهر وأمد وألين وأخفض من بعض." [1]

وهنا نلحظ معلماً مهماً هو أن النبي – صلى الله عليه وسلم – علمهم تقديم حسن الصوت في الأذان فأحرى أن يكون ذاك في القرآن. فعن عبدالله بن زيد قال: لما أصبحنا أتينا رسول اللّه – صلى الله عليه وسلم – فأخبرته بالرؤيا فقال: " إن هذه الرؤيا حق فقم مع بلال فإنه أندى أو أمد صوتاً منك و(أندى) أصله من الندى أي الرطوبة ،وقيل: أحسن وأعذب،وقيل: أبعد. فالأحسن أن يراد بـ أندى ههنا: أحسن وأعذب. ففي الحديث دليل على اتخاذ المؤذن حسن الصوت... فإذا كان ذلك كذلك في الأذان، فكيف به في القرآن؟.وكان الصحابة – رضي اللّه عنهم –يلتمسون حسن الصوت بالقرآن فعن عمر رضي الله عنه – أنه قال لرجل: اقرأ سورة الحجر، قال: أو ليست معك يا أمير المؤمنين؟ قال: أما بمثل صوتك فلا.

وبعد فإذا كان لجمال الأداء– وحسن الصوت كأحد العوامل البارزة في جمال الأداء – هذا الأثر الذي ذكر في نفوس السامعين فما عوامله أو مقوماته؟

يرجع جمال الأداء لآي الذكر الحكيم إلى عوامل متنوعة منها ما يرتبط بالقارئ أو المرتل ؛ويشمل ذلك العوامل الفسيولوجية (العضوية)،والعوامل

---

1) خلق أفعال العباد – أبو عبدالله بن المغيرة البخاري– تح د/ عبدالرحمن عميرة صـ ٧٣ – دارالمعارف السعودية / الرياض.

الفيزيائية الطيفية، ومنها ما يرتبط بلغة القرآن الكريم خاصة وبطريقة ترتيله.**وتفصيل ذلك في المطلبين التاليين:**

المطلب الأول[1]: عوامل جمال الأداء المرتبطة بالقارئ أو المرتل لآي الذكر الحكيم :

تصدر الأصوات البشرية المكونة للكلمات نتيجة لعمل وتعاون أجهزة وأعضاء الجسم المختلفة من خلال نظام فسيولوجي (عضوي)واحد عند جميع البشر.وعلى الرغم من أن الجهاز النطقي للإنسان متحد ولا يختلف باختلاف الأشخاص أو اللغات إلا أن نطق الأصوات يختلف تبعاً لاختلاف عمل هذه الأعضاء[2]

ومن المقرر – أيضاً – أن أعضاء النطق في الإنسان في تطور طبيعي مطرد في بنيتها واستعدادها،ومنهج أدائها لوظائفها. فحناجرنا وحبالنا الصوتية وألسنتا وحلوقنا وسائر أعضاء نطقنا تختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأولين، إن لم يكن في بنيتها الطبيعية، فعلى الأقل في استعدادها، بل إنها لتختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأقربين، غير أن هذا التطور يسير ببطء وتدرج،ولذلك لا يبدو أثره بشكل واضح إلّا بعد زمن طويل .فأعضاء النطق تختلف في بنيتها واستعدادها ومنهج تطورها تبعاً لاختلاف الشعوب، وتنوع الخواص الطبيعية المزود بها كل شعب،والتي تنتقل عن طريق الوراثة من السلف إلى الخلف، فالشعوب البشرية قد اختلفت فيما بينها في استخدام إمكانات الجهاز النطقي استخداماً كاملاً،وهذا هو السبب في أن اللغات الإنسانية تتفق فيما بينها في بعض الأصوات،وتختلف في بعضها الآخر،وذلك تبعاً لاختلافها في استخدام

---

1)من كتاب جمال الأداء لآي الذكر الحكيم في ضوء علم الصوتيات د. ممدوح إبراهيم محمود محمد

2) دراسات في علم اللغة – د/ كمال بشر صـ ١٩٤ دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

إمكانات الجهاز النطقي المتعددة إلا أن هذا الاختلاف لا ينحصر في كونه اختلافاً بين اللغات؛ حيث نجد عند مستخدمي اللغة الواحدة فروقاً جوهرية لا سيما فيما يتصل بالجانب الأدائي حسناً وجمالاً أو قبحاً وسوءا وانحرافاً عن المضمون،ويبدو ذلك أكثر وضوحاً في تلاوة آي الذكر الحكيم واختلاف الأداء من قارئ لآخر، مما يجعلنا نتأثر بقراءة قارئ فنبكي، أو نفرح، أو نشتاق إلى ما يسوقه البيان القرآني من البشرى تأثراً بجمال الأداء وما يتضمنه من مدلولات معبرة موحية حسب المقام وطريقة الأداء وحسن الصوت تارة، أو لا نشعر بشيء من ذلك تارة ثانية ؛ لأن القارئ لآي الذكر الحكيم ليس لديه من مقومات الأداء الجميل والصوت الحسن ما يجعله يثير فينا إحساساً ما.وإذا كان الأمر كذلك فما الذي يجعلنا نتأثر بقراءة قارئ معين لآي الذكر الحكيم،ولا نتأثر بقراءة قارئ آخر؟

إن الإجابة على هذا السؤال تجعلنا نبحث عن الفروق الصوتية بين القراء سواء أكانت هذه الفروق تعود في أصلها إلى الاختلافات الفسيولوجية (العضوية) بين القراء،أم الاختلافات الفيزيائية (الطيفية) في الصوت الصادر عن القراء، أم غير ذلك.**وفيما يلي تفصيل لهذه العوامل:**

<u>أولا: العوامل الفسيولوجية (العضوية)([1])</u>

للعوامل الفسيولوجية أو العضوية دور رئيس في الإحساس بجمال الأداء لآي الذكر الحكيم واختلاف الصوت الصادر عنها جمالاً وتأثيرا في نفوس المستمعين، أو قبحاً وعدم تأثر بالأداء ؛ لكونه صادراً عن صوت لا يملك من مقومات الجمال ما يجعله يثير فينا هذا الإحساس ولا يثير فينا انتباهاً نحو

1)من كتاب جمال الأداء لآي الذكر الحكيم في ضوء علم الصوتيات د. ممدوح إبراهيم محمود محمد

التأمل والتفكر فيما تتضمنه الآيات من نعيم أو عذاب،ووعد أو عيد،وحكم وعبر،وزجر ونهي، أو غيرذلك. **وفيما يلي تفصيل لهذه العوامل الفسيولوجية:**

أ ـ الاختلاف العضوي في أعضاء النطق بين قارئ وآخر

يقول إخوان الصفا: "اعلم أن اختلاف الناس في كلامهم ولغاتهم على حسب اختلافهم في أجسادهم وتركيباتهم."[1]،وقال أحد الباحثين المحدثين :"السبب في اختلاف نوع الصوت الاختلاف العضوي بين أعضاء النطق عند شخص وآخر، فقد يكون هذا واسع الفم أو ضيق الحنجرة أو مقطوع الشفتين."[2]

وقد بين الجاحظ أن سعة الفم علامة على جهارة الصوت حيث قال : "وكانوا يمدحون الجهير الصوت،ويذُمُّون الضئيل الصوت؛ولذلك تشادقوا في الكلام،ومدحوا سَعَة الفم،وذمُّوا صغر الفم."[3]

ومن ذلك أيضا شكل حجرة الفم،وشكل قبة الحنك وكذا الحنجرة من حيث حجمها أهي عميقة محرابية أم هي مسطحة ضحلة؟ وطبيعة أليافها العضلية لها دور رئيس في خشونة الصوت أو نعومته.

فاختلاف أعضاء النطق هو الذي يحدد طبيعة الموجات الصوتية وما يترتب علي ذلك من تنوع أصوات الكلام. [4]

وبالنظر والتأمل في أصوات المتكلمين نجد أنها ليست على درجة واحدة ؛ لأن لكل متكلم مدى معيناً من الدرجة لا يتعداه، فكثيراً ما نسمع صوت شخص لا نعرفه فيتكون لدينا انطباع عن شخصه من خلال صوته بل ربما نتصور ملامح وجهه وبناء جسمه حيث إن لكل صوت طابعه المميز الذي يحدده

---

1)البحث اللغوي عندإخوان الصفا – د/ أبوالسعود الفخرانيصـ ٥٩ – مطبعة الأمانة ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

2) أصوات اللغة – د/ عبدالرحمن أيوب صـ ١٥٦ – مكتبة الشباب/ مصر.

3)البيان والتبيين صـ ٧٨ ، ٧٩.

4) البحث اللغوي عند إخوان الصفا صـ ١٢٦.

بناء الرأس والعنق والوجه وطريقة اهتزاز حبليها لصوتيين وطريقة كلامه،وتبعاً لذلك نجد فروقاً صوتية في درجة الصوت تختلف باختلاف القراء .فالأجسام تختلف من حيث تردد الصوت الناتج عن اهتزازها تبعاً لتركيبها الفيزيائي وهذا التذبذب وللطريقة التي تثاربها،ويظل تردد الصوت ثابتاً مهما اختلف الاتساع . يختلف باختلاف وزن الجسم،وطوله... فالجسم الثقيل يتذبذب تذبذباً أبطأ من تذبذب الجسم الخفيف .وهذا يدل على أن بين الجسم ووزنه وبين الصوت الصادر عنه علاقة عكسية،حيث إن الجسم الثقيل وإن كثر به هواء الشهيق والزفير يتذبذب أبطأ من الجسم الخفيف، فينتج عن ذلك صوت جهوري غليظ وخشن ؛ لقلة عدد الذبذبات الصادرة عنه،وضعف الدفع الهوائي في القناة الصوتية ؛ بسبب كبر حجم الرئة وطول الحلق وسعة المناخر والأشداق واتساع حجرات الرنين ؛حيث ينتج عن ذلك اتساع مدى الموجة الصوتية التي تشكل الصوت.والمدى يتسع ويضيق تبعاً لقوة وكثافة الجسم المهتز أو المنتج للصوت،خلافاً للجسم الخفيف ،فإنه يكون أكثر ضغطاً ودفعاً للهواء فيكثر بذلك الدفع الهوائي عدد الذبذبات الصادرة عنه بسبب صغر حجم الرئة وقصر الحلق وضيق المناخر والأشداق وصغر حجرات الرنين وينتج عن ذلك صوت حاد وناعم.

حيث يترتب على هذا العامل اختلاف حجم الوترين الصوتيين سمكاً وطولاً ؛ لأن عدد ذبذبات الوترين الطويلين الضخمين أقل كثيراً،ويترتب على هذا عمق وضخامة في الصوت الصادر عنهما، كما يترتب عليه طول القصبة الهوائية وعمقها أو قصرها تبعاً لحجم الرقبة وما ينتج عن ذلك من حدة الصوت أو ثقله وغلظته أو التحكم في نبرته عن طريق التحكم في عضلاتها. فالقصبة الهوائية فراغ يستغل في تضخيم الصوت ومنحه صفته، فطول القصبة الهوائية وعمقها

يؤدي إلى وجود صوت غليظ مع نفس طويل على النحو الذي نجده عند الشيخ الطبلاوي، وطولها مع رفعها ينتج عنه طول النفس مع حدة ما على النحو الذي نجده عند الشيخين/ المنشاوي وعبد الباسط بتفاوت بينهما،وقصر القصبة ورفعها ينتج عنه حدة الصوت وقصر النفس،وقصرها مع عمقها ينتج عنه قصر النفس وضخامة الصوت.

فكلما كبر حجم الرئتين وطال الحلقوم واتسع،واتسعت المناخير والأشداق،وانفرج الفكان كانت الأصوات الصادرة عنها جهيرة،وزاد الصوت على قدر قوته وضعفه؛لأنها تستنشق هواء كثيراً وترسله بشدة .فالطاقة الكبرى تنتج سعة ذبذبة أكبر وصوتاً أعلى وأقوى،والحركة القوية تؤدي إلى اضطراب قوي في الهواء.

وكلما كبرت الرئتان نظراً لطول الجسم وضخامته قلت سعتهما التخزينية للهواء الفاعل للصوت،وقلت قوة الضغط أسفل الحنجرة،وضعف بالتالي الصوت الناتج عنهما،وقصر نفس القارئ،وقل الضغط أسفل الحنجرة،والعكس صحيح فكلما اختزنت الرئتان كمية أكبر من الهواء كان لدى الشخص نفس طويل،وصوت قوي،وقوي ضغط الهواء أسفل الحنجرة ؛ لذلك نرى القراء والمرتلين والخطباء يشعرون بالراحة بعد أن يعودوا إلى حالتهم الطبيعية،وهو ما سنوضحه في حديثنا عن طول النفس ودوره في جمال الأداء لآي الذكر الحكيم. لكن هذا الأمر لا ينبغي أن يؤخذ على إطلاقه؛ لأن القارئ يستطيع عن طريق التمرين والتدريب وأمور أخرى أن يعوض ذلك ويطول نفسه خاصة إذا تميز بطول الرقبة كما هو الحال عند الشيخ الطبلاوي.

ودور هذا الاختلاف الفسيولوجي في حدة الصوت وغلظه يتبين إذا علمنا أن ،أصوات الحيوانات ذوات الرئة واختلاف أنواعها وفنون نغماتها هي بحسب طول

أعناقها وقصرها،وسعة حلاقيمها وتركيب حناجرها،وشدة استنشاقها الهواء،وقوة إرسال أنفاسها من أفواهها ومناخرها.

كما يترتب على هذا الاختلاف الفسيولوجي (العضوي) اختلاف حجم صناديق الرنين وحجم فتحاتها. إذ يتسم الصوت الغليظ أو الخشن – (عارضاً كان لمرض أو نحوه، أو صفة ملازمة لضخامة الجسم) – بأنه غير سار،وأنه عادة ما يكون مرتفعاً في شدته ومنخفضاً في طبقته ،وليس معنى ذلك أن صوت الشيخ الطبلاوي ؛ لضخامة جسمه لم .يكن جميلاً أو مؤثراً ؛ لأن هذا العامل الفسيولوجي ليس هو العامل الوحيد في جمال الصوت خاصة وجمال الأداء عامة بل هو أحد العوامل وليس أهمها على الإطلاق؛ لأن القارئ الماهر أو الجيد يستطيع بالدربة والمران التحكم في نبرات صوته حدة تارة وغلظة تارة ثانية وهو ما سنتحدث عنه تفصيلا عند حديثنا عن التحكم في درجة الصوت ونبراته كأحد العوامل الفيزيائية التي تساعد على جمال الأداء وتوظيفه حسب مدلول الآية أو الغرض منها،كما أن هناك عوامل أخرى كثيرة – غير هذا العامل – فسيولوجية وغير فسيولوجية تكون سبباً في قوة الصوت وفي جمال الأداء، وهو الأمر الذي بني عليه البحث كله،ومن هذه العوامل الفسيولوجية سعة واختلاف شكل حجرة الفم،وبالتالي شكل قبة الحنك عمقاً وارتفاعاً أهي عميقة محرابية أمهي مسطحة ضحلة؟ وهو الأمر الذي أعطى لصوت الشيخ الطبلاوي قوة وجمالاً عوضه عما افتقده بالنسبة للشيخين عبد الباسط والمنشاوي. فالشخص الذي لديه قبة حنك عميقة –كالشيخ الطبلاوي –غالباً ما يكون لديه صوت جميل،وغير ذلك مما يؤثر في اختلاف الصوت الصادر عن الأجسام المختلفة بصورة واضحة قوة أو ضعفاً،حدة ونعومة أو غلظة وخشونة،جمالاً أو عكسه.

وقد مدح العرب سعة الفم بل عدوه من مقومات الصوت الجميل ؛ لما ينتج عنه من جهارة وقوة في الصوت وفصاحة في المنطق وهذا ما وضحه الجاحظ كماسبق .فلهذه الصفة – (سعة الفم) – وما ينتج عنها من جهارة الصوت دور رئيس في جمال الأداء عند قراء القرآن الكريم وغيرهم؛وذلك لما لها من أثر سمعي محبب في أذن السامع.

وقد عد الجاحظ الجهارة في الصوت أو المنطق من وسائل البيان وجمال الأداء ؛وذلك لما يترتب عليها من الحلاوة والطلاوة في الأداء فهي (الجهارة) عنده الصفات التي أكبر ما تستمال بها القلوب وتنثني بسببها الأعناق وتزين به المعاني.[1]

وسنتناول الحديث عن هذا العامل (جهارة الصوت وقوته) تفصيلاًكأحد العوامل المهمة في جمال الأداء في موضعه من البحث إن شاء الله تعالى، ولهذه الصفة – (سعة الفم) – الناتجة عن الاختلاف الفسيولوجي تميز صوت الشيخ الطبلاوي وأداؤه بأنه كان أكثر جهارة وشدة وبعد مدى وغلظة وارتفاع نغمة أو أوضح سمعاً منهما.

وقد تحدث أحد الباحثين المحدثين عن أثر هيكلية الفم كواحد من العوامل الفسيولوجية على جمال الصوت فقال: " تتوافر لدى أصحاب الأصوات الجميلة عادة عوامل تعطي أصواته مقوةً وجمالاً وطلاوة منها: قبة الحنك أو سقف الحلق لديهم عالية وعميقة وتسمى بالمحرابية (أي نصف دائرية).وتتشكل قبة الحنك الأمامية الصلبة من النتوئين الحنكيين لعظمي الفك العلوي،وهي تأخذ شكلاً مقعراً بالاتجاهين الأمامي والجانبي،ويحيطها من الأمام الأسنان العلوية،وتنتهي في الخلف بقسم يسمى شراع الحنك.... وما يهمنا – هنا – هو

---

1)البيان والتبيين ص23

شكل حجرة الفم وبالتالي شكل قبة الحنك أهي عميقة محرابية أم هي مسطحة ضحلة؟ فالشخص الذي لديه قبة حنك عميقة غالباً ما يكون لديه صوت جميل،وعندما يفقد أسنانه لاسيما الأمامية فإن هذا الصوت سوف يتغير وسيحدث تشويه لهذا الصوت الجميل وخاصة في الأحرف السينية... إذاً المطلوب هو ثبات الجهاز العلوي وعدم قلقلته؛ لأن أي حركة تسبب إحراجاً وضيقاً للمرتل ...عندما يضطر أحياناً لفتح فمه بشكل واسع للتعبير، أو ليعطي صوته ونبراته جمالاً وقوة وجذباً للانتباه

ونتيجة لهذا الاختلاف التكويني لأعضاء النطق بين القراء وغيرهم تفاوت القراء في جمال الأداء الناتج عن حسن الصوت؛ لذلك يوصف الصوت حال الأداء بأوصاف عدة أهمها: الرخيم،والندي وهما صفتا جمال ومدح،وقد يوصف الصوت بأنه خشن، أو مظلم، أو رتيب... إلخ وهذه صفات ذم.

ب- حسن استغلال الجهاز الصوتي ومرونة أعضائه عند بعض القراء:

لا يختلف جهاز النطق عند الإنسان في جملته أو تفصيله من أمة إلى أخرى، أو من فرد إلى آخر، ما لم يكن به عيب خلقي عند هذا أو ذاك. إنما الفرق بين الأمم في هذا المجال يرجع إلى طريقة توظيف هذا الجهاز واستغلاله.

وأسلوب هذا التوظيف وطريقة هذا الاستغلال يؤديان حتماً إلى فروق أدائية مميزة، تختلف في القلة والكثرة والصفة بحسب الأحوال..... ولكن مما لا شك فيه أن نتائج الاختلاف في توظيف هذا الجهاز في النطق يؤدي – بالضرورة – إلى حصيلة من الملامح الصوتية التي تمتاز بها اللغات بعضها عن بعض ؛ بل تتميز عن طريقها أصوات الأشخاص العاملين في مجال واحد بعضها عن

بعض كاختلاف الأصوات من حيث جمال الصوت أو الأداء بعناصره المختلفة التي تنتج أساساً عن طريق أعضاء النطق وحسن استغلالها، أو العكس بين قراء القرآن الكريم وغيرهم،وهذا ما قصدنا إلى إثباته في هذا المجال

.ولهذا السبب – الاختلاف في استخدام إمكانات الجهاز النطقي استخداماً كاملاً وبطرق معينة– اختلفت طرق الأداء لآي الذكر الحكيم وكيفيته بين القراء وانعكس ذلك بصورة واضحة على جمال الصوت وجمال الأداء تبعاً للمقام ،وما يتطلبه من طرائق نطقية معينة تنسجم مع الغرض المحدث عنه ،وهذا ما سنوضحه تفصيلاً عند حديثنا عن التلوين الصوتي وأثره في جمال الأداء وذلك عن طريق التنغيم تارة،ومراعاة الأغراض أو السياقات القرآنية ومعرفة طرق أدائها تارة ثانية.

وقد كان ذلك الاختلاف في استخدام إمكانات الجهاز النطقي سبباً رئيساً في أن يتسم أداء القارئ لآي الذكر الحكيم بالجمال،حيث توفر للقارئ ولطريقة أدائه ما يجعل للقرآن الكريم نغمة أدائية خاصة جذبت الأسماع وهيأت القلوب والعقول للتجاوب معها، فسامعه لا يسأم ولا يمل ؛ لأنه أي القارئ يتنقل فيه دائماً بين طرق أدائية متنوعة، وأنغام متجددة على أوضاع مختلفة يهز كل وضع منها أوتار القلوب وأعصاب الأفئدة .وهذا الجمال الصوتي أو النظام التوقيعي الناتج عن حسن استغلال أو توظيف الجهاز الصوتي ومرونة أعضائه هو أول شيء أحسته الآذان العربية أيام نزول القرآن، ولم تكن عهدت مثله فيما عرفت من منثور الكلام سواء أكان مرسلاً أم مسجوعاً . فحسن استخدام الجهاز الصوتي إذن يعد أحد العوامل المهمة في جمال الأداء لآي الذكر الحكيم؛ لأن سوء استخدام جهاز الصوت يؤدي إلى حدوث بعض الاضطرابات في الصوت الصادر عن هذا الجهاز؛ إذ قد ترجع اضطرابات الصوت إلى كثير من الأسباب

غير العضوية، منها ما يتعلق بسوء استخدام جهاز الصوت،ومنها ما يتعلق بالاضطرابات الانفعالية لدى الفرد،ومنها ما يتعلق بالعادات غير السليمة في استخدام الصوت.ويمكن أن يتخذ سوء استخدام الصوت أشكالاً متعددة منها :السرعة المفرطة في الكلام، والكلام بمستوى غير عادي من حيث طبقة الصوت،والكلام بصوت مرتفع جداً وبصورة لا تناسب قدرة الجهاز الصوتي،والكلام المصحوب بالتوتر الشديد،وجميع ذلك يمكن أن يلحق الضرر بالحنجرة والأحبال الصوتية .

أما المرونة الصوتية فهي: عكس الثقل الصوتي. فالأصوات الثقيلة يصعب عليها التنقل بسلاسة بين الطبقات الصوتية، بينما الأصوات المرنة تنتقل بسلاسة بين الطبقات.

ولا شك أن قدرة القارئ لآي الذكر الحكيم على التنقل بين الطبقات بسلاسة تحقق جمالاً صوتياً وأدائياً متميزاً لا يستطيع كل قارئ أن يؤديه بنفس الطريقة إلا عن طريق التمرين والمشافهة أو المحاكاة والتقليد لمن أتقن وأجاد هذا التنوع بين الطبقات أو الانتقال من طبقة إلى أخرى مناسبة لها متناغمة مع المقام .

فالمراد من المرونة أو الصوت المرن: قابليّته للتحرك المنسجم والمنسق بين الدرجات وانتقاله من درجة إلى درجة،وهي من الخصائص الذاتية في الأوتار الصوتية التي تسمح للإنسان الحركة والانتقال بين الدرجات والطبقات في صوته،وأن يغيّر الصّوت من حالة إلى حالة،وكلّما ازداد الصّوت مرونة وتحرّكًا تكثر الانتقالات والتغييرات بين الدرجات والفواصل الصوتية بسرعة في أقل زمان وبأحسن كيفية يبتغيها الإنسان، فإذا فقد الصوت هذه الخاصية المهمة يخرج من إطار الأصوات الحسنة والجميلة مع وجود سائر الصفات المحسنة والخصائص الأخرى،خاصة عند القرَّاء. من جانب آخر لا يتمكن القارئ في

التنقل الصحيح بين الطبقات المتدرجة والمقامات إذا لم تتوفر عنده مرونة الصوت كما ينبغي . فبالنتيجة للحصول على المزيد من الانسجام والسرعة أثناء التلاوة، خاصة لقراءة التدوير مع وحدة الايقاع والدمج بين النغمات، ينبغي أن نحصل على صوت مرن مهما استطعنا.

فهذه الجوهرة الأصيلة – (الصوت ومرونته) – من مواهب الله ،ومن أحسن النعم التي يمنحها لمن يشاء من عباده، فمع الإقرار بهذه النعمة لا ننسى أثر التمرين والتدريبات الصحيحة في تقوية الصوت وتحسينه ومرونته، خاصة مع بروز صفاته الجميلة والمرغوبة لدى المستمعين.

ويعد الترجيع والنبرات الصوتية المنتظمة من الأصوات المرنة إذ يتم عن طريق الحركة السريعة أو الانتقال المكرر السريع بين الدرجة الأصلية وأعلاها بما يناسب المقام، فيحصل ميزان الترجيع بواسطة مهارة الشخص في تغيير هذه الفواصل القريبة بأسرع ما يستطيع في فاصلة زمنية قليلة جدًّا،حسب اختيار وذوق الأشخاص في انتخاب نوعية الترجيع كمًّا وكيفًا، فالصوت المرن بحسب نبراته يكثر فيه الترجيع والحركة ؛ لأنه مهيأ لهذه الحركة والتغييرات السريعة في فواصله، فلو علمنا أن صوتًا فيه مرونة مقدارًا ما، فعلينا أن نبادر بالتمرين والتدريب الصحيح ؛ لنقوي هذه الخاصية الجميلة لنكثر فيه **النبرات والترجيعات** المنسجمة وفقاً للأصول والضوابط التمرينية في الصوت والمقامات."[1]

وأعضاء النطق وإن كانت تختلف في بنيتها واستعدادها ومنهج تطورها وفي استخدامها وعدد الأصوات التي ينتج عنها باختلاف الشعوب، فإنها تختلف كذلك في مرونتها تبعاً لاختلاف الشعوب وتنوع الخواص الطبيعية المزود بها

1) جمال التلاوة في الصوت والنغم–جمعيّة القرآن الكريم للتوجيه والإرشاد صـ٥٢ ، ٥٣ بيروت – ط/أولى ١٤٣٣هـ٢٠١٢/م.

كل شعب،والتي تنتقل عن طريق الوراثة من السلف إلى الخلف،كما تختلف بتقدم السن .كذلك باختلاف الأشخاص.

وتتحقق هذه المرونة الصوتية عن طريق مرونة أعضاء النطق لاسيما المتحركة منها **وأهمها على النحو التالي:**

أولا: مرونة الحنجرة

وهي التي تنتج معظم الطاقة الصوتية التي يستعملها الإنسان في الكلام، يقول ابن سينا مبيناً : " لما كان الصوت من الإنسان ونحوه إنما يتم بخروج النفس بهيئة مخصوصة وجب أن تكون آلته وهي الحنجرة متصلة بأعلى مجرى النفس ليتم هناك تكون الصوت.... فلذلك الحنجرة عضو غضروفي خلق آلة للصوت ".[1]

كما أنها تمثل مصدر التردد الأساس لغالبية الأصوات اللغوية كونها تحوي الرقيقتين الصوتيتين. بينما تقوم التجاويف الثلاثة الأخرى –(الحلقي،والأنفي،والفموي) بما تحويه من أعضاء بالتأثير على التردد الأساس الصادر عن الرقيقتين الصوتيتين، فنتمكن من إخراج أصوات عديدة ومتباينة. وإن كانت هناك أصوات لغوية لا تعتمد على الرقيقتين الصوتيتين لإخراجها،وإنما تعتمد على وضع أعضاء النطق الأخرى كاللسان والشفتين التي تعترض انسياب الهواء مولدة ترددات صوتية. وهذا ما يحدث أثناء نطق الأصوات المهموسة.

كما أن للحنجرة دوراً بارزاً في التمييز بين أصوات الأشخاص،وفي التعبير عن شخصية كل منهم،وعن مستواه الثقافي والاجتماعي،وكذلك التعبير عن المشاعر والانفعالات –والعواطف– ونحوها مما يثير فينا إحساساً قوياً بجمال الأداء وروعته– وإذا كانت الحنجرة بالنسبة للكلام تؤدي –كما يقول أحد

[1]) تشريح القانون – ابن سينا صـ١٢٢

الباحثين – دور الآلات الموسيقية بالنسبة للغناء فتضفي عليه نغماً وتجعله مسموعاً،وتميز كذلك لغة عن أخرى عن طريق الطابع اللحني الذي تلتزم به اللغة ويختلف باختلافها،وإضافة مزيد من المعاني القاموسية إلى الجملة المنطوقة عن طريق تغيير أو تنويع المسار النغمي للجملة فيبرز المعني النحوي ويكتسب المعنى الاتصالي للجملة هل هي إخبار أو استفهام أو أمر حسب طريق الأداء.؟ [1] **فإن لها دوراً بارزاً في جمال الأداء لآي الذكر الحكيم عن طريق التحكم في حركتها ومرونة عضلاتها،حيث يمكن للحنجرة أن تتحرك إلى فوق وتحت وأمام وخلف،والحركة إلى أعلى وأسفل مهمة جدًا في النطق؛ لأنها تغير من شكل وحجم حجرة الرنين، فتؤثر على نوع الرنين الحنجري وطبيعة الصوت،حيث إن تحرك الحنجرة إلى أعلى مع بعض الأصوات يؤثر على صندوق الرنين الذي يتكون في الحلق** ، فيقصر طوله ويصغر حجمه،كما أنها عندما تتحرك إلى أسفل مع بعض الأصوات يتغير طول الصندوق وحجمه فيزداد طوله ويكبر حجمه ،وكل ذلك يؤثر بدوره على النغمة التي تمر بهذا الصندوق [2]

يقول ابن سينا مبيناً كيفية هذه التحركات للحنجرة :" فسيولوجياً: " والحنجرة لا بد لها من إطباق وفتح وتوسيع وتضييق...وهذه الحركات لا بد وأن تكون من الحركات الإرادية التي إنما تتم بالعضل،والعضل لا بد وأن يكون في تحريكها مستندة إلى عظم أو ما يقوم مقامه.....ولا بد أن تكون لهذه الحركات عضلات تجذب إلى فوق وإلى أسفل وإلى قدام وإلى خلف فلا بد وأن يكون لها مستند في هذه الجهات كلها.

---

1) دراسات صوتية صـ ١٥٣ ، ١٥٤ بتصرف.

2)دراسة الصوت اللغوي – د/ أحمد مختار عمرصـ ١٠٠ – عالم الكتب/القاهرة ١٤١٨هـ١٩٩٧/م،وعلم الصوتيات صـ ٩٠

وقد بين ابن سينا – رحمه الله – أن مرونة الحنجرة التي تتيح لها الحركة في جميع الاتجاهات ترجع إلى طبيعة تكوينها الفسيولوجي فذكر أن الحنجرة ليست شديدة اللين بحيث لا يكون لقرعها بالهواء الخارج صوت يعتدبه،ولا شديدة الصلابة فيكون ما يحدث فيها من الصوت غير مستطاب.وذكر أيضا أنها لو خلقت من أجسا مصلبة جداً كالعظام فإما أن تكون دقيقة فتتهيأ للانكسار بسهولة، أو لا تكون كذلك فتوجب زيادة في الثقل وغلظاً في جرم العنق لا لضرورة ؛ فلذلك وجب أن تكون مخلوقة من غضاريف لتكون متوسطة الصلابة فيكون ما يحدث فيها من الصوت لذيذاً وتكون بما فيها من اللين آمنة من الانكسار عند المصادمات التي ليست شديدة القوة وبما فيها من الصلابة معينة على قوة الصوت."[1]

وعلى قدر هذه المرونة في حركة الحنجرة في الاتجاهات الأربع تتوقف درجة الصوت، فكلما ازدادت مرونتها كثرت الذبذبات وازداد الصوت حدة،وعن طريق هذه المرونة – أيضاً – يمكن تصغير التجويف الحلقي أو تكبيره ،وذلك برفع الحنجرة أو خفضها، أو بتضييقها بواسطة جذر اللسان. وفي كلتا الحالتين تختلف نوعية الرنين الناتج عن الصوت الصادر عن الرقيقتين الصوتيتين. ولهذه التغييرات تأثيرات كبيرة على تجويف الحلق أو البلعوم من حيث كونه واحداً من أهم تجاويف الرنين التي تتعرض لنغمة الحنجرة بالتكييف والتعديل بوسائل شتى من الترشيح والتقوية والرنين. فارتفاع الحنجرة وانخفاضها يؤثر على صندوق يسمى بالرنين مما يؤثر على النغمة المصاحبة لبعض الأصوات.أو على ما يسمى الرنين، الحنجري الذي يترتب عليه الفرق بين الأصوات الحادة والغليظة

---

1)تشريح القانون صـ١٢٢ بتصرف.

.وهذه التحركات التي تتخذها الحنجرة بفضل مرونتها وما يتبعها من تغيرات أو تأثيرات على تجويف الحلق أوصندوق الرنين تعد أحد العوامل المهمة في جمال الأداء ؛ لما يترتب عليها من أثر واضح في تغيير نبرات الصوت،وتلوين الأداء وعدم السير فيه على نبرة أو وتيرة واحدة على طريقة الصوت الرتيب الذي يدفع إلى الملل وعدم الإنصات أو التأمل، ثم عدم الاستماع الجيد والاستمتاع بعذوبة الأداء أو التأثر به .كما أن الحنجرة – أيضاً – بفضل مرونتها التي تتفاوت باختلاف الأشخاص– نتيجة لأسباب عدة يضيق المجال عن ذكرها – تؤدي دوراً مهماً في جمال الأداء عن طريق ما يسمى بالوحدات الصوتية الأدائية،وذلك كالتنغيم الذي تكتسب به الجملة معنى مغايراً، كمعنى الاستفهام أو الخبرية أوالتعجب –كما في قوله تعالى :"فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيم" فلا يتبين المراد من قولها: (عجوز عقيم) استفهاماً من غير أداة أوتعجباً إلا عن معرفة وإدراك طريقة الأداء الصحيحة للوحدات الصوتية الفوقطعية أو التطريزية ولا يكون ذلك إلا بطريقة أدائية تنغيمية معينة ؛ لأن قولها يحتمل الأمرين – (فالمسار النغمي للجملة هو الذي يحدد المعنى المراد،وقد ينبئ في حالات كثيرة عن مزاج الشخص،ويكشف عنحالته النفسية من نحو: الرضا أوالغضب،وما شابه ذلك كما أن لحجم الحنجرة ومدى القدرة على التحكم في حركتها دورًا رئيسًا في جمال الصوت الذي هو أحد عوامل جمال الأداء حيث يمكن وصف الصوت بأنه قوي أو ضعيف تبعاً لقوة الحنجرة أوضعفها.

يقول أحد الباحثين المحدثين: " يوصف الصوت بالقوي لقوة الحنجرة وضعفه بضعفها، فقد كان الشيخ مصطفى إسماعيل – رحمه الله – ذا صوت نادر وطريقة مميزة في تلاوة القرآن الكريم جعلته واحدًا من أهم شيوخ التلاوة في

العالم الإسلامي، فكانت له القدرة – لمرونة حنجرته وقوتها – على تركيب النغمات والمقامات في تلاوته بشكل بديع مع الحفاظ على أحكام التجويد، وكذا كان الشيخ عبد الباسط عبدالصمد(رحمه الله).

والعجب أن علماء التشريح لم يلحظوا أي فرق مادي بين حناجر النوع الإنساني، فحنجرة الإنسان ذي الصوت الرخيم الذي يسحر الألباب والعقول لا تختلف عن حنجرة فلاح بسيط من الناحية التشريحية ." فالفرق بين الحناجر – إذاً – هو فرق في المرونة التي ينتج عنها تفاوت في صندوق الرنين فوقها،وهذا الصندوق كغيره من الصناديق الأخرى يستغل في تضخيم الصوت أو عكسه ومنحه صفته الخاصة به التي تميزه عن غيره من الأصوات عن طريق التحكم في حجمه ومساحة فتحاته بفضل مرونة الحنجرة وحركاتها المختلفة.

ثانيا:مرونة الوترين الصوتيين وقوتهما :

على قدر مرونة الوترين الصوتيين (بواسطة التحكم في فتحة المزمار) التي تنقبض وتنبسط بنسب مختلفة مع الأصوات،وهو الأمر الذي يترتب عليها اختلاف نسبة شد الوترين واستعدادهما للاهتزاز؛ فكلما زاد توترهما زادت نسبة اهتزازهما في الثانية – (يستطيع القارئ أن يغير في نغمة صوته ،ولذلك فتختلف تبعاً لهذا درجة الصوت " ويبدو من نظام الحنجرة سمو الجهاز . الإنساني على جميع الآلات الأخرى.والأوتار الصوتية على جانب من المرونة لا يصل إليها مبسم المزمار الموسيقي الذي هو صلب بالضرورة،وتستطيع هذه الأوتار بفضل نظام للحركات لطيف التدبير يدبر عدة أزواج من العضلات أن تأخذ أوضاعاً مختلفة، فيمكن إبقاؤها مغلقة أو فتحها فتحاً تاماً أو شبه تام وجعلها تتذبذب كلاً أوجزء، والتعديل من مقدار توترها.ومن هنا تنتج تنوعات المصادر التي يغترف منها التكلم وتعتمد مرونتهما على: طولهما أو قصرهما حسب طبيعة

الجسم من حيث وزنه وطوله وعرضه، فطول الوترين الصوتيين يؤثر في درجة الصوت تأثيراً عكسياً، بمعنى أنه كلما طال الوتران الصوتيان قلت الذبذبات وترتب على قلتها عمق الصوت،وكلما قصر كلما زاد معدل اهتزازهما وترتب على ذلك حدة الصوت.

وإذا كان العازفون يستطيعون إنتاج أصوات متنوعة عن طريق التحكم في طول الوترين وتقصيرهما بوضع أصابع يدهم اليسرى على نقطة ما لتقصير طول الوترين فإن .الأوتار الصوتية العجيبة التي وهبها الله– عز وجل – للإنسان وميزه بها عن خلقه وفضله على كثير ممن خلق لا تقاسبها أوتار أية آلة صوتية صنعها الإنسان،ولا جميع الآلات الصوتية المختلفة الأنغام! إنها كما قال تعالى[صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ] كما أن قوة الأوتار الصوتية – والتي تتفاوت باختلاف الأشخاص حسب اختلافهم في أجسادهم وتركيباتهم،وتمنح الأداء عامة والصوت خاصة قوة وجمالا. تجعل الأداء أكثر تميزاً وأشد انتباهاً وتشويقاً وتأثيراً في نفوس المستمعين.

ثالثًا –مرونة الألسن ورياضتها:

يعد اللسان أهم أعضاء النطق،وهو عضو يتميز بالحركة والمرونة،حيث يحتوي على عدد كبير من العضلات التي تمكنه من التحرك،والامتداد،والانكماش،والتلوي إلى أعلى أو إلى الخلف.وهذه السهولة في التحرك مكنت اللسان من الاتصال بآية نقطة الفم، فنتج عن تحركاته المختلفة عدد كبير من الإمكانات الصوتية في الجهاز النطقي .فاللسان يشغل معظم فراغ التجويف الفمي،وهو يحتوي على مجموعة من العضلات التي تمكنه من تغيير شكله ووضعه بسهولة،ويؤثر وضع اللسان في تشكيل الأصوات ورنينها بصورة

عامة،وبدون الحركة والوضع الدقيق للسان يصعب حدوث عملية النطق بصورة صحيحة.

ويوضح ذلك الشيخ ابن سينا فيقول: "إن لسان الإنسان ونحوه يحتاج إلى حركات متفننة.... ولذلك وجب أن يكون للسان الإنسان عضلات تحركه الحركات التي يفتقر إليها في ذلك.ويجب أن يكون منشأ كل واحدة منها من الموضع الذي هو أجود لها."[1]

كذا جعل ابن الجزري التدريب ورياضة اللسان الطريق الأمثل لتحصيل التجويد فقال: " ولا أعلم سبباً لبلوغ نهاية الإتقان والتجويد،ووصول غاية التصحيح والتسديد مثل رياضة الألسن والتكرار على اللفظ المتلقى من فم المحسن... فإذا أحكم القارئ النطق بكل حرف على حِدَتِهِ مُوفٍ حقه فَلْيُعْمِلْ نَفْسه بإحكامه حالة التركيب؛ لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الإفراد،وذلك ظاهر، فكم ممن يحسن الحروف مفردة ولا يحسنها مركبة بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب قوي وضعيف ومفخم ومرقق فيجذب القوي الضعيف ويغلب المفخم المرقق، فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب، فمن أحكم صحة اللفظ حالة التركيب حصَّل)حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب."[2]

رابعًا: مرونة الفك الأسفل

للفك الأسفل طبيعة تركيبية خاصة تجعله يفوق في مرونته مرونة أي عضو آخر من أعضاء النطق المتحركة،كما تتيح له القدرة على أن يتحرك حركة شبه دائرية تلاحظ بالنظر الدقيق لفم القارئ عند تجويده لآي الذكر الحكيم،وتسهم هذه الحركة في تنويع نغمات وطبقات الصوت وعلوه وانخفاضه وغير ذلك مما

---

1)شرح تشريح القانون :ابن النفيس ص66

2)النشر في القراءات العشر/١ ،٢١٣ ٢١٤بتصرف.

يعطي للصوت ولطريقة الأداء طابعاً متميزاً وإيقاعاً مؤثرا، وترنيماً وتطريباً لا يمكن لأي عضو آخر أن يقوم به.وقد أبان ابن سينا – (رحمه الله) –عن هذه الطبيعة التشريحية للفك الأسفل فقال: " كان للفك الأسفل طبيعة تشريحية خاصة تحقق له المرونة وسهولة الحركة بحيث تلائم استعماله في مضغ الطعام وعملية الكلام ."[1]

فالفك الأسفل – لمرونته – لديه القدرة على أن يتحرك حركة شبه دائرية تلاحظ بالنظرالدقيق لفم القارئ عند تجويده لآي الذكر الحكيم،وتسهم هذه الحركة في تنويع نغمات وطبقات الصوت وعلوه وانخفاضه وغير ذلك مما يعطي للصوت ولطريقة الأداء طابعاً متميزاً وإيقاعاً مؤثراً، وترنيماً وتطريباً لا يمكن لأي عضو آخر أن يقوم به.

خامسًا: القدرة على التحكم في حجم ومساحة المرنات الصوتية

الصوت حين يصدر عن آلة التصويت (الحبال الصوتية) يكون ضعيفًا، ثم تتم تقويته بتمريره بشكل صحيح في مسالك الصوت التي تعتبر فراغًا رنينيًّا للصوت البشري .ويمتد هذا الفراغ الرنيني من الحنجرة حتى مقدمة الشفتين. فإذا ملأ الصوت شعاب هذه الأماكن تضاعفت قوته وزادت قدرته على الارتفاع والانخفاض.

وتقوية الصوت بهذا الشكل تشبه تقوية صوت الآلات الموسيقية، فإن صوت الأوتار ضعيف جدًّا، لكن الموسيقيّين يضعونها فوق صندوق خشبي مجوف هو بمثابة فراغ رنيني يقوي أصواتها.

ويتحقق الأمران معًا – التنفس الصحيح،وتوسيع مدى الصوت – بإطلاق الهواء من الرئتين عبر الحنجرة بارتياح وامتلاء، وهذا ما يسمى: (الهدير

---

1)تشريح القانون ص45

الصوتي)، ويتم هذا الهدير بإطلاق حرف المد: (آ) من عمق الرئتين الممتلئتين بالهواء عبر مسالك الصوت حتى الفم... ومقياس هدير الصوت أن يضع المرء راحة يده على وسط صدره، ثم يجهر بصوته فيحدث عند ذلك اهتزازًا شديدًا متواصلاً أشبهة باهتزاز جلد الطبل وخفقانه عند ضربه بقوة،وبمقدار ما يكون الهدير صحيحًا والاهتزاز قويًا يشعر المؤدّي بالراحة والهدوء والاطمئنان النفسي وإن طالت فترة التدريب.ويشعر المؤدّي بالتعب سريعًا، وتتلاحق أنفاسه ويخفق صدره في ارتفاع وانخفاض سريع إذ اكان التصويت غير كامل وغير صحيح.[1]

وفي الجهاز الصوتي الإنساني أجسام مجوفة وظيفتها تقوية الصوت،وتنويع نغمته كالقصبة الهوائية وفراغ الحلق والفم والأنف.

ويمكن عن طريق مرونة هذه الأجسام أو التجاويف والقدرة على التحكم في حجمها اتساعا أوامتداداً تعديل نوع الصوت فيما مما يترتب عليه إظهار جمال الأداء القرآني بتنويع النغمات يعرف بعملية الترشيح. الأدائية. ولهذه التجاويف أو المرنات الصوتية قدرة على التغير والتنوع نظراً لما تتمتع به هذه التجاويف أو المرنات الصوتية من المرونة والتي تختلف من شخص إلى آخر،وهذا ما وضحه أحد الباحثين المحدثين حين تحدث عنها حيث قال: " هي ذا تقابلية للتغير والتنوع بحكم ما تتمتع به أعضاء النطق وخاصة اللسان من قدرة هائلة على الحركة بفضل النظام العضلي الذي يتحكم في حركتها " فهي مطاطة إلى حد كبير،وتقوم للصوت مقام فراغ رنيني فتخلع عن كل صوت طابعه الخاص.كما يوجد في هذه التجاويف الرنانة أعضاء مرنة قابلة للسحب تستطيع أن تعدل أبعاده وتغير من طاقتهن ،فعلى قدر ضيق الممرات التي

1)جمال التلاوة في الصوت والنغم صـ ٦٥ ، ٦٦.

يمر بها الهواء الخارج من الرئتين أو اتساعها .يتوقف ضعف الأداء أو قوته. فضيق ممرات الهواء أو اتساعها مسألة تؤثر على الصوت . أو على جزء المقطع . الذي يحدث عنده الضيق أو الاتساع.

من هنا كانت المرنات الصوتية من أهم العوامل المؤثرة في جمال الصوت وجمال الأداء،وعليها يتم التمييز بين أصوات القراء والحكم عليها جمالا أو قبحاً.حيث تختلف باختلاف الأشخاص من حيث حجمها ومرونتها ومدى القدرة على التحكم فيها .

كما أن القارئ يستفيد من جيوبه الأنفية في تحسين صوته وإعطاء الكلام نغمة ورنينا جميلين .حيث إن الهواء الخارج من الرئتين مارًا بالحنجرة محدثاً الصوت يمر في طريقه بالبلعوم والأنف والجيوب الأنفية، فيكتسب الرنين اللائق والنغمة الإنسانية الواضحة التي تجعل للكلام وضوحاً وانطلاقاً وحسناً ؛ولذلك فإن من زكم أنفه أو انسد حلقه تتغير نغمة كلامه ويختفي الوضوح في نطقه وتظهر الخناقة في صوته،وكذلك من كانت جيوبه الأنفية أكبر وتهويتها أحسن واتصالها بالأنف أسهل كان لصوته رنين أجمل ولكلامه نطق أحسن.

من هنا كانت المرنات الصوتية من أهم العوامل المؤثرة في جمال الصوت وجمال الأداء،وعليها يتم يتم التمييز بين أصوات القراء والحكم عليها جمالا أو قبحاً.حيث تختلف باختلاف الأشخاص من حيث حجمهاومرونتها ومدى القدرة على التحكم فيها وذلك لأن المرن الصوتي يتوقف على:

1-الحجم: فكلما كبر حجم المرن أعطى ترددات أو ذبذبات قليلة،ومن هنا تكون النغمة غليظة،وكلما صغرحجم المرن أعطى ترددات كثيرة وبذلك تكون النغمة رفيعة.وهذا الحجم يختلف من مرن لآخر.ومن المعلوم أن تغير ضغط الهواء في التجاويف المغلقة يتناسب مع حجم التجويف تناسباً عكسياً، فيزيد

الضغط بنقص فحجم المرن يرتبط أساساً بطول الجسم أو الحجم،كما يقل الضغط بزيادة الحجم .قصره بما في ذلك منطقة الرقبة،وعرضه أووزنه وما يرتبط بذلك من حيث كثافة الجسم المنتج للصوت أو نحافته

٢- مساحة الفتحات: الفتحات التي توجد داخل المرن وخارجه،وفي بدايته ونهايته ذات أثر فعال في عمل المرنات الصوتية.

-٣ عدد الفراغات: مما يجعل عمل المرن مختلفاً أيضاً عدد الفراغات الموجودة والموصولة بعضها ببعض فالصوت بعد صدوره من الحنجرة يمر بعدة تجاويف تعمل على تنقيته وتضخيمه، وإضفاء صيغة معينة ومميزة عليه تعرف بجهاز الرنين،وتضم البلعوم السفلي،والبلعوم الفمي والتجويف، الأنفي، وقد أوضحت الفحوص الطبية لجهاز الكلام ومنطقة الزور أن البلعوم يلعب دوراً هاماً في عملية تضخيم الصوت، يتضح ذلك من خلال ملاحظة حركة البلعوم إلى أعلى وأسفل أثناء الكلام .

كما يعد الفم غرفة رنين أخرى يمر بها الصوت، حيث تتحرك أجزاؤه من فك وأسنان ولسان وشفتين، فيتغير شكل التجويف الفمي طبقاً لذلك وهذه الفراغات الرنانة تستغل في تضخيم الصوت ومنحهصفتهالخاصة بهوالتي تميزه عن غيره من الأصوات، فهي بمثابة تلك الصناديق المجوفة التي تشد عليها أوتار الكمنجة أو العود؛ لأن أصوات الحنجرة وحدها ضعيفة،ولكنها تقوى في تلك الفراغات الرنانة،واختلاف حجم هذه الفراغات بين الناس يجعل أصواتهم المختلفة متميزة رغم أن تلك الفراغات لا تكاد تؤثر في درجة أصواتهم، فقد تكون متحدة الدرجات أي أن عدد الذبذبات في الحنجرة واحد،ولكن مرور تلك الذبذبات خلال الفراغات يكسبها لوناً خاصاً بها يساعدنا على تمييز أصوات الأصدقاء من غيرها . وكذا تمييز أصوات القراء بعضها عن بعض.

د) . سلامة الجهاز الصوتي من الأمراض والعيوب النطقية :يعتبرالصوت مقياساً لصحة الإنسان ووضعه النفسي ؛ لأنه يتأثر بشكل مباشر بتغيرات الجسد الصحية والنفسية، فإذا كان جهاز النطق في الإنسان سليماً خالياً من العيوب الخلقية خرج الصوت صحيحاً محققاً الغرض منه. فنحن مثلاً يمكننا معرفة الشخص المريض أوالمضطرب من خلال نبرة صوته؛ لأنه قد يصاب الإنسان بعلة ما فتحدث هذه العلة اضطراباً شديدًا في الصوت،حيث نجد اختلافاً واضحاً لصوته في هذه الحالة أو أثناء العلة والمرض عما هو عليه في وضعه الطبيعي.و دور هذا العامل – سلامة أعضاء النطق وقوتها – في جمال الأداء يتضح عن طريق الجهر بالصوت وقوته ؛ أما الجهير والخفيف من الأصوات فبحسب قوة الحركة وضعفها

إن أي خلل يحدث في المجرى الهوائي ينتج عنهتغير في الصوت أو في نبرته،كأن يصبح الصوت مبحوحاً. والبحة أو تغير الصوت من الأعراضالطبية الشائعة التي يصاب بها الإنسان من وقت لآخر في حياته،وعادة ما تخف ويعود الصوت إلى عادته...فالصوت عند الإنسان ينتج بإصدار الهواء من الرئة عبر الحبال الصوتية ماراً في طريقه بالبلعوم والأنف والجيوب فيكتسب الرنين اللائق والنغمة الإنسانية الواضحة التي تجعل للكلام وضوحاً وانطلاقاً وحسناً ؛ولذلك فإن من زكم أنفه أو انسد حلقه تتغير نغمة كلامه ويختفي الوضوح في نطقه وتظهر الخنافة في صوته،وكذلك من كانت جيوبه الأنفية أكبر وتهويتها أحسن واتصالها بالأنف أسهل كان لصوته رنين أجمل ولكلامه نطق أحسن. فأي خلل في هذا المجرى الهوائي ينتج عنه تغير بالصوت.كما أن الالتهابات الفيروسية التي تصيب الجهاز التنفسي الأعلى – (الأنفلونزة) – هي أكثر المسببات التي تؤثر على الصوت، فالمريض الذي يشكو من الأنفلونزة تكثرالإفرازات عنده في

الجهاز التنفسي وتنتفخ الأنسجة في الأنف والحلق بالإضافة إلى الحبال الصوتية،وهذا ما يحدث تغيراً بالصوت،ومع العلاج والراحة تخف هذه التغيرات ويعود الصوت إلى ما كان عليه .كما أن أي خلل في تلامس حبلي الصوت بنعومة مع الحركة السلسلة أو في سلامة الغشاء المخاطي يؤدي إلى تغيير في نبرة الصوت وظهور بحة الصوت.وفي المعتاد تكون البحة مصاحبة لضعف الصوت إلا أنه أحياناً يظهر كل منهما منفرداً، وذلك في بعض فسلامة الحنجرة هي سلامة لكل الحروف،وليس للحروف مراحل أمراض الحنجرة . التي تخرج منها فقط ولكن لبقية الحروف، فهي التي تساعد على إحداث الاهتزاز الصوتي عبر الأحبال الصوتية. وسلامة الصوت ونقاؤه يستلزم تلامس حبلي الصوت بنعومة مع الحركة السلسلة وسلامة الغشاء المخاطي.

كذلك تؤدي العيوب الخلقية أو الفسيولوجية الناتجة عن تشوه الجهاز النطقي للإنسان – كالزوائد اللحمية، وعيوب الأسنان " فالثنيتان والرباعيتان لهما دور في إقامة الحروف وسلامة النطق... وقيل: إن من سقطت كل أسنانه استطاع التحدث إلى حد ما، هذا بخلاف من ذهب شطر من أسنانه، أوالثلثين منها،ذلك للاعتدال والاستواءعدم " انتظام الأسنان من ناحية تكوينها الحجمي كبراً أوصغراً أو، من حيث القرب أو البعد أو، تطابقها وخاصة في حالة الأضراس الطاحنة والأسنان القاطعة في جعل تقابلها صعباً ويعتبر هذا العيب التكويني على اختلاف صوره من أهم العوامل التي تسبب الثأثأة في أغلب الحالات .وكذا عيوب الأوتار الصوتية وغيرها من التشوهات الخلقية – إلى تعطيل أو تعثر عمل الجهاز النطقي في إنتاج الصوت بالشكل الصحيح، فقد نسمع اللثغة والتعتعة والفأفأة بسبب هذا العيب،وقد يكون العلاج طبياً في هذه الحالة.وقد ترجع عيوب النطق إلى نقص أو إهمال شديد في التدريب على الأداء الجيد

والنطق السليم . كذلك تؤدي عدم القدرة على التحكم الإرادي في حركة أجزاء جهاز النطق، أو سوء استعمال الصوت بالانتقال من طبقة إلى طبقة أخرى غير ملائمة إلى ضعف الأداء.

هـ) القدرة على التحكم في النفس وتنظيمه

: لا تتوقف أهمية الجهاز التنفسي عند الإنسان عند الوظيفة الإحيائية بل هو محور العملية الصوتية لدى الإنسان، فعنطريق التحكم في تيار النفس يُشَكل الصوت ويمكن توصيفه،وكذا يكون الصوت سليماً أو خالياً من العيوب،ومعرفة مدى جماله أو قبحه ف، لمقدار خروج النفس والتحكم فيه دور في جمال الصوت وقيمته،ويدرك ذلك الذين يصابون بنوبات البرد ويشعرون أثر ذلك على الكلام.

كما أن لمعدل التنفس دوراً واضحاً في وصف الصوت بل وصف الحالة النفسية التي يكون عليها المتكلم،وعليه أيضاً يتوقف طول النفس أو قصره لاسيما عند قراء القرآن الكريم،كما أن الصوت يقوى بقوة النفس أو ضغطه ،ويضعف بضعفه . فالإنسان خلال التنفس العادي يتنفس حوالي نصف لتر من الهواء على حين تصل أقصي كمية لهواء الشهيق إلى ما بين ٤ إلى ٥ لترات،وتسمي كمية الهواء التي يقوم الإنسان بطردها بعد الشهيق العميق الكامل (السعة الحيوية للرئتين)، يتضح ذلك جلياً في أثناء الزفير حيث تنتج الأصوات اللغوية فيحدث النطق والكلام الجهاز ؛إلا ان سعة الجهاز التنفسي تختلف من شخص إلى آخر تبعاً لحجم الجسم المنتج للصوت.

فالأجسام الكبيرة الرئات الطويلة الحلاقيم الواسعة المناخير والأشداق تكون جهيرة الأصوات وغليظة أيضاً ـ ؛ لأنها تستنشق هواءً كثيراً وترسله بشدة ". لكنها في الوقت نفسه ترتبط بدفع الهواء إلى أعلى ارتباطاً عكسياً إذ يلاحظ أنه

كلما قل حجم الجسم زادت قوة دفع الهواء إلى أعلى عبر الرئتين والقناة الصوتية ويمكن التحكم في معدل وعمق النفس عن طريق التحكم في عضلات التنفس في مركز التنفس الموجود في . ساق المخ حيث يحتوي مركز التنفس على ثلاث مناطق وظيفية... ومع أن نمط التنفس يتحكم فيه عن طريق مركز التنفس إلا أن هذا النمط يمكن تعديله وفقاً للاحتياجات عن طريق: قشرة المخ: حيث يوجد اتصال بين قشرة المخ ومركز التنفس، بمعنى أن الإنسان يستطيع إرادياً أن يغير معدل التنفس حيث يستطيع الإنسان أن يتوقف تماماً عن التنفس لفترة محدودة... فالإشارات العصبية تنبه مركز التنفس، لذلك فإن الانفعالات العاطفية تغير. نمط التنفس مثل البكاء على سبيل المثال.

ثانيا: العوامل الفيزيائية (الطيفية)

للعوامل الفيزيائية دور بارز ومهم في جمال الأداء والتمييز بين أداء قارئ وآخر بل والحكم عل ىكليهما جمالاً أو قبحاً أو غير ذلك وأبرز هذه العوامل يعود إلى عاملين هما:

1-القدرة على التحكم في درجة الصوت ونبراته

درجة الصوت هي: الخاصية التي تميز بها الأذن الأصوات من حيث كونها أصوات حادة أو غليظة (. ١) أو هي: عل والصوت وانخفاضه. فلكل صوت بشري حدود معينة في نزوله وصعوده وكل نوع يختلف عن الآخر من ناحية القوة والضعف،ومن ناحية تأثيره في السامع بالمقام المناسب. كما أن الأصوات تختلف بعضها عن بعض، فمنها ما هو شديد كقصف الرعد،ومنها ما هو غليظ كصوت الرجل أوحاد كالصفير أو رنين الأجراس.

والقارئ الجيد هو الذي يستطيع التحكم في نبرات صوته ويتنقل بين طبقاته حسب المقام وحسب طبيعة صوته . بطريقة سلسلة ومهارة متقنة يستطيع من خلالها جذب انتباه السامع والتفاعل معه.وذلك عن طريق:

1 – السيطرة على الهواء المندفع من الرئتين وتحديد نسبة ما يندفع منهما من التنفس،وتنظيم هذاحسب الإرادة

.٢– مرونة عضلات الحنجرة ؛ فعلى قدر هذه المرونة تتوقف درجة الصوت، فكلما ازدادت مرونتها كثرت الذبذبات وازداد الصوت حدة.

–٣ التغيير في درجة انقباض الحبال الصوتية،والتغيير المناسب في الطول والتوتر يؤدي إلى حدوث اختلاف في نبرات الصوت.

ب) قوة الصوت وجهارته

قوة الصوت هي: صفة تعكس مدى تحمل الصوت، فكلما زادت قوة الصوت زادت قوته على تحمل الأداء الطويل .وقد كان بعض القراء القدامى يقرءون لساعات دون أن يظهر الضعف على أصواتهم .وهذه الصفة تختلف من الناحية الخَلقية،ولكن يمكن تطويرها عن طريق العناية بالصوت، وكذلك عن طريق الاستخدام الصحيح للصوت أثناء التلاوة، ولقوة الصوت بعدان:

قوة الصوت على المدى القصير: وهي قابلية التحمل أثناء أداء تلاوة واحدة . أي متى يبدأ الصوت بالضعف خلال التلاوة . فبعض الأصوات لا تستطيع التلاوة لأكثر من ربع ساعة، بينما بعضها يواصل لساعات عدة دون تعب.

قوة الصوت على المدى الطويل: وهي قابلية التحمل مع تقادم العمر. فبعض القراء توقفوا عن القراءة في سن مبكرة، بينما بعضهم استمر في التلاوة حتى سن متقدمة مع المحافظة على جمال صوته .ومن الفئة الثانية. الشيخ عبد الباسط عبد الصمد. ،والشيخ مصطفى إسماعيل.

ثالثا : العوامل الأخرى التي ترتبط بالقارئ :

هناك عوامل أخرى غير ماسبق بيانه وتوضيحه تبرز جمال الأداء لآي الذكر الحكيم وتثير في السامع إحساساً مماثلاً بل وتناغماً وانسجاما بعذوبة الأداء وسلاسته وهذه العوامل يتفاوت فيها القراء تفاوتا كبيراً ؛ لارتباطها بالقارئ نفسه وطريقة أدائه.وأهم هذه العوامل:

أ : أحكام التجويد ودورها في جمال الأداء وكمال الإقراء لآي الذكر الحكيم:

تجعل قواعد التلاوة والتجويد لأسلوب القرآن الكريم انسجاماً وإيقاعاً عذباً جميلاً، وهذه القواعد ليست شيئاً طارئاً على القرآن،وليست خارجة عنه بل هي من ذات القرآن ؛ لأنها أصول تتعلق بصحة تلاوته.... ؛وذلك لما فيه من الإيقاع العذب المعبر الذي لا تجده أبداً في كلام البشر فإنه الإيقاع الناشئ عن الأداء القرآني الملتزم بقواعد التجويد، إنه الأداء الذي يملأ السمع عذوبة والقلب خشوعاً والنفس إعجاباً والكيان إجلالاً ومهابة، فضلاً عن دوره في الإشعار بالمعنى.[1]

فالتجويد من خصائص أداء القرآن الكريم ومتى عريت التلاوة منه لـ متكن موافقة للصفة المتلقاة عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – ومن ثم فإن ملامح الإعجاز تتوارى، فهو يبرز جمال القرآن الصوتي،وهوأساس تقويم اللسان،وهو كما يقول ابن الجزري: " حلية التلاوة، وزينة القراءة،وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيب مراتبها ،ورد الحرف إلى مخرجه وأصله،وإلحاقه بنظيره وتصحيح لفظه وتلطيف النطق به على حالصفته،وكمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف،وإلى ذلك أشار النبي – صلى الله عليه وسلم – بقوله: من ، أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أُمِّ عَبْدٍ يعني عبد اللَّه بن

---

1) البلاغة الصوتية في القرآن الكريم– / د محمدإبراهيم شادي صـ ٦٨،٦٧ بتصرف – مطبعة الرسالة –ط /أولى ١٤٠٩هـ١٩٨٨/م

"مسعود[1]،وكان – رضي الله عنه – قد أعطي حظًّا عظيمًا في تجويد القرآن وتحقيقه وترتيله كما أنزله الله تعالى وقد بين عبد الله بن ذكوان الكيفية الصحيحة لتجويد القرآن ،فقال "يجب على قارئ القرآن أن يقرأ بترتيل وترسل وتدبر وتفهم وخشوع وبكاء ودعاء وتحفظ وتثبت،وأن يزين قراءته بلسانه ويحسنها بصوته،ويعرف مخارج الحروف في مواضعها،ويستعمل إظهار التنوين عند حروف الحلق إظهاراً وسطاً بلا تشديد،وإخراج الهمزة إخراجاً وسطاً حسناً،وتشديدالمضاعف تشديدًا وسطاً من غير إسراف ولا تعد،وتفخيم الكاف والراء والزاي والخاء والحاء والطاء بلا إفحاش ولا إسراف،وتصفية السين،وإظهار طنين النون عند الخاء،وإظهار الهاء وإخراجها من الصدر،وإدغام ما يحسن فيه الإدغام،وإظهار ما يحسن فيه الاظهار ،وقال ابن الجزري :" «ليس التّجويد بتمضيغ اللّسان، ولا بتقعير الفم، ولا بتعويج الفكّ، ولا بترعيد الصّوت، ولا بتمطيط الشّدّ، ولا بتقطيع المدّ، ولا بتطنين الغنّات، ولا بحصرمة الرّاءات، قراءة تنفر عنها الطّباع، وتمجّها القلوب والأسماع، بل القراءة السّهلة العذبة الحلوة اللّطيفة، الّتي لا مضغ فيها ولا لوك، ولا تعسّف ولا تكلّف، ولا تصنّع ولا تنطّع، ولا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء، بوجه من وجوه القراءات والأداء» "[2]

وللتلاوة الصحيحة ضوابط لا بد منها وأهمها:

. ١ إخراج كل حرف من مخرجه وتوفيته حقه: فأَوَّل ما يجب على مُرِيد إتقان قراءة القرآن تصحيح إخراج كل حرف من مخرجه المختص به تصحيحًا يمتاز

---

1) سنن ابن ماجه – ابن ماجة أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني – / تح محمد فؤاد عبد الباقي (فضل عبد الله بن مسعود) حديث رقم(١٣٨) ١/٤٩ – دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي ، وصححهالألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته – (حديث رقم ٥٩٦١) ٢ / ١٠٣٤.

2) المقدمات الأساسية في علوم القرآن : عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزي الناشر: مركز البحوث الإسلامية ليدز – بريطانياالطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م ص448

به عن مُقَارِبِه،وتوفية كل حرف صفته المعروفة به توفية تخرجه عن مُجانسه، يُعْمِل لسانه وفمه بالرياضة في ذلك إِعْمَالًا يُصَيّرُ ذلك له طبعاً ." وسليقة

٢ –التمهل والتؤدة في القراءة وألا يقرأ القرآن هذرمة أو بسرعة وأن يأتي به الإنسان معرباً فالواجب على الإنسان إذا قرأ القرآن أن يعربه بمعنى أن يفصح في ألفاظه ويبين حروفه ويخرجها إخراجاً صحيحاً، وألا يقرأ قراءة سريعة تلتبس فيها الحروف وتختلط فيها الكلمات فإن هذا لا ينبغي من الإنسان ولذلك جاء رجل إلى ابن مسعود – رضي الله عنه – فقال: إني قرأت المفصل البارحة في ركعة قال: هزاً كهز الشعر أونثراً كنثر الدقل؟ ثم أمره أن يقرأ القرآن بتؤدة وتمهل وهكذا ورد ذلك عن ابن عباس وعن غيره من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبينوا أن قراءة آيات من القرآن ولو كانت قليلة مع التمهل والتؤدة.

3–حسن الوقف ومعرفة أنواعه المختلفة: فعلم " الوقف والابتداء " علم عظيم الأهمية لكل من يقرأ القرآن الكريم تعبداً أو تعلماً أو تعليماً،ولذلك تنازع البحث فيه علماء التفسير والقراءات والنحاة والبلاغيون،وظهرت فيه مؤلفات كثيرة . فموضوع الوقف والابتداء من الموضوعات المهمة في علم تجويد القرآن الكريم؛ لأنه لا يتحقق فهم كلام الله تعالى وإدراك معانيه إلا بذلك، فقد يقف القارئ قبل تمام المعنى ويبتدئ بما بعد الموقوف عليه، فلا يَفهم حينئذ ما يقرأ ولا يُفهِمُ السامع شيئاً، بل ربما يؤدي وقفه إلى فهم غير المعنى المراد من الآية،وهذا أمر خطير لا تصح به القراءة ؛ لذا حث علماؤنا على تعلم الوقف والابتداء، فقد سئل علي – رضي الله عنه – عن قوله تعالى (:وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلاً) فقال:

الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف ،وقد عده الداني من الأمور التي لا يتحصل التجويد لقراء القرآن الكريم إلا بمعرفته.[1]

ولأخطاء القراء في الوقف والابتداء أسباب كثيرة يمكننا إجمالها في نقاط هي:

. 1- الرغبة في الظهور بمظهر القارئ الطويل النَفَس فتجدالقارئ حين يجود آية طويلة ينقطع نَفَسه فيضطر للوقوف في موضع لا يصح الوقوف عليه. ٢.

2- أن كتب الوقف والابتداء وكتب القراءات عموماً لم تذكر لنا على سبيل الحصر مواضع الوقف في القرآن الكريم كله.ولم ينقل ذلك عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وصحابته إلا النزر اليسير .

3-أن مواضع الوقف خاصة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعلم النحو، لأن القراء الأوائل جميعاً كانوا من النحاة كأبي الأسودالدؤلي،وابن أبي إسحاق الحضرمي،وعيسى بن عمر الثقفي،وأبي عمرو بن العلاء ،والكسائي وغيرهم.وقد اجتهد هؤلاء في محاولة وضع قواعد عامة للوقف فقالوا مثلاً: "كلكلمة تعلقت بما بعدها – بحيث أصبح ما بعدها متمماً لمعناها– لا يوقف عليها "كالمضاف والمضاف إليه،والمنعوت دون نعته، والشرط دون جوابه،والمؤكد دون توكيده... إلخ.

ومعلوم أن احتراف القراء في عصرنا الحاضر يعتمد على جمال الصوت وإتقان المقامات،ولا ينظر القارئون ولا من يختارونهم إلى علوم النحو ولا يولونها اهتماماً يُذكر .

4- أن بعض القراء يحتال للوقوف متوهماً أن في هذا الموضع الذي يقف عليه إبداعاً وإعجازاً تبعاً لهوى نفسه، بلا نظر إلى الحكم الإعرابي النحوي

---

1)التحديد في الاتقانص ١٧٦.

. ومن الأمثلة على الوقف الخطأ: قرأ قارئ معروف بجمال صوته آيات من سورة البقرة أعجبت جمهوره فصاح الجمهور وناح، فكررها وأعادها،ونقلها عنه مقلدوه حتى صار ت من " تراث القراءة المعاصرة "!! وهي قوله تعالى (: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) ووصلها بما بعدها ووقف على قولهت عالى: (أياماً معدودات) وهذا وقف قبيح جدّاً ؛ لأنه جعل الظرف الزماني (أياماً معدودات) متعلقاً بالفعل السابق له (تتقون) فيصبح المعنى أن الهدف من فرض)الصوم هو اتقاء الله أياماً معدودات لا غير هي أيام رمضان . فهذا مثال للوقف الشنيع الذي يخرج بكتاب الله وآياته عن الفهم الصحيح الواجب لها.

ولو اكتفى القارئ بالوقوف على رأس الآية(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواكُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)لكفى وشفى، لكنها الرغبة الذميمة في إظهار طول النَفَس،وفتنة الخنوع بما يظهره الغوغاء من الإعجاب والتصايح والتواجد. وصدق الله تعالى حين وصف جهلاء مكة وعبادتهم الزائفة فقال (وَمَاكَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ البَيْتِ إِلاَّ مُكَاءًوَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَاكُنتُمْ تَكْفُرُونَ) فعلى القارئ أن يتذوق تمام المعنى حين يتلو كتاب الله تعالى، فلا يقف إلا حين يجد المعنى قد تم.وتمام المعنى إنما يكون باستغناء الكلام بعضه عن بعض.وما لم يتحر القارئ ذلك ؛ فقد يقع في إثم عظيم،كما لو قرأ مثلاً قوله تعالى (:وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً) فوقف بعد قوله : (وما أرسلناك) فيكون هذا الوقف نافياً لنبوة النبي– صلى الله عليه وسلم – كذلك لووقف على كلمة المصلين من قوله تعالى(:فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ) مع أنها رأس آية، إلا أن ما بعدها مكمل لمعناها،وفي قوله تعالى (لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْسَلَف وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ) فوقف

هكذا (إن ينتهوا يغفر لهم ما قدسلف وإن يعودوا) فإنه بذلك يكون قد ساوى في المغفرة بين من انتهى عن المعصية ومن عاد إلى ارتكابها وهذا يخرج بالنظم القرآني عن أصل معناه وإنما الواجب عليه أن يقف على كلمة (سلف)، ثم يبدأ تلاوته .

المبحث السادس:التعريف بالمقامات وحكم قراءة القرآن بها

أولا:التعريف بالمقامات لغة واصطلاحا:

المقامات بفتح الميم لغة:هي جمع مقام وهو موضع القيام.[1]

أما المقامات اصطلاحاً: فالمقام الصوتي هو الطابع الموسيقي الذي يمتاز به صوت معين. وعلم المقامات هو ذلك العلم الذي يدرس أنواع المقامات الصوتية والتمييز بينها وفروعها وأوقات استعمال كل مقام. أما عن تاريخ ظهوره فهو كاللغات واللهجات لا يمكن تحديد وقت ظهورها .. لكون هذا العلم في أصله علم فطري فالإنسان بطبيعته يميز بين الطوابع الموسيقية .. فجاء هذا العلم ليهذب هذه الفطرة والمَلَكَة التي وهبها اللهُ الإنسانَ، فقُعِّدَت القواعد، وأنْشِئت الأسماء، ووُضِعَت المصطلحات، ولابد لناشد هذا العلم من معرفة مصطلحاته المتداولة ليتمكن من التعمق فيه.[2]

وتعلم المقامات له ارتباط وثيق بالموسيقى، بيد أنه بالإمكان دراسة هذا العلم دون اللجوء إلى الموسيقى، وذلك عن طريق الاستماع إلى القراء المتقنين والمنشدين المتخصصين.

---

1)الرازي زين الدين، مختار الصحاح، صفحة 262.

2) أرشيف ملتقى أهل التفسير تم تحميله في: المحرم 1432 هـ ديسمبر 2010 م

رابط الموقع: http://tafsir.net

والمقامات في الأصل أساليب وطرق ترجع إلى بعض الأمصار الإسلامية تعودت أن تقرأ وتنشد على المقام المناسب لها. فأهل الحجاز لهم طريقتهم المعروفة في التلاوة والإنشاد وهذا هو طابع أهل البلد وسمي أسلوبهم بـ (مقام الحجاز)، وكذلك بقية البلدان.

ومسميات المقامات مشتركة بين الفارسية والتركية والعربية للتقارب بين الشعوب الإسلامية في عهودها المختلفة التي اختلطت فيها الثقافات ،وكل هذه المقامات كان ينشد بها العرب ويقرؤون بها قديماً وحديثا.

<u>مصطلحات ينبغي معرفتها:</u>

*السُّلَّم الموسيقي: يعني درجات ارتفاع الصوت أو انخفاضه بشكل منسق متدرج منتظم فّإذا ما تم القفز عن درجة ما فإنه يسمى "نشاز"

*النَّشاز: يعني الخروج من مقام إلى آخر غير متناسق من المقام الأصلي. وهو غير مريح للأذن المستمعة، أو من درجة إلى درجة أخرى.

*القرار: انخفاض في عدد اهتزاز النبرات الصويتة. وغالبا ما يُبدأ بالقرار ويُنتَهَى به. ويسمى (الجواب الموسيقي).

*الجواب: ازدياد نسبي في عدد اهتزاز النبرات الصوتية. ويوحي الجواب بعدم اكتمال الخبر والموضوع وأن هناك كلاما سيتبعه. ويسمى (السؤال الموسيقي)..[1]

المهتمون بقراءة القرآن بالمقامات الصوتية؛ يرون أن المقامات تدخل في تلاوة القرآن وما يصاحبه من ترتيل وتجويد وتغني دونما تكلّف، إنما بحسب الطباع البشرية كما ورد في تعريف المقامات، فتلاوة القرآن تستدعي التدبّر والخشوع، وله تأثير على السامع والقارئ لتناسق حروفه وأوزانه ما يحدو بالقارئ إلى التغني به فيكون له بالغ الأثر على النفس.

---

1) صالح المهدي، مقامات الموسيقى العربية، صفحة 7. بتصرّف.

ثانيًا: أنواع المقامات [1]

من الجدير بالذكر أنّ من جعل للمقامات أنواعاً وسمّاها بهذه التسميات هم أهل الموسيقى والغناء، وقد جعلوها في ستة مقامات رئيسية كما يأتي: والمقامات سبعة مجموعة في قولك: (صنع بسحر) ولمن يضيفون مقام الكرد تكون ثمانية ويقولون (صنع بسحرك).

(ص) رمز (الصَّبا)

(ن) رمز (النَّهاوند)

(ع) رمز (العَجَم)

(ب) رمز (البيات)

(س) رمز (السيكاه)

(ح) رمز (الحجاز)

(ر) رمز (الرست)

(ك) رمز (الكرد)

مواصفاتها: [2]

تنبيــه:قولي بأن أحد الشيوخ كان يقرأ بهذا المقام ؛لا يدل على أن هذا الشخ تعلم هذا المقام للقراءة به ؛ولكنى أقصد أن أهل المقامات اعتنوا بتحليل قراءة الكثير من

---

1) ينظر:أرشيف ملتقى أهل التفسير تم تحميله في: المحرم 1432 هـ ديسمبر 2010 رابط التحميل م http://tafsir.net ، "مقامات في المقامات قراءة توصيفية حكمية في القراءات القرآنية"،،عبد اللطيف التويجري صيد الفؤاد، اطّلع عليه بتاريخ 22/1/2022.

2) ينظر:أرشيف ملتقى أهل التفسير تم تحميله في: المحرم 1432 هـ = ديسمبر 2010 رابط التحميل م http://tafsir.net ، "مقامات في المقامات قراءة توصيفية حكمية في القراءات القرآنية"،،عبد اللطيف التويجري صيد الفؤاد، اطّلع عليه بتاريخ 22/1/2022. بتصرّف

قراء القرآن، فوجدوا أن تلاوتهم تعود لمقام من المقامات السبعة الرئيسية أو فروعها سواء علم القاريء أم لم يعلم.

1-**مقام البيات:** وقالوا أنه يمتاز لحنه باستحضار الخشوع والتفكر،وهو مقام فرح ومقام حزن في آن واحد .. ومنشأ هذا المقام في العراق وينسب إلى عائلة البياتي وذلك لإجادتهم له .. وما زالت هذه العائلة موجودة إلى اليوم .. وكثيرا ما يجمع بعض القراء في التلاوة الواحدة بين مقام الصبا ومقام البيات، أي أنه يفتتح تلاوته بمقام الصبا ويختتمها بمقام البيات أو العكس .. وذلك يرجع إلى التناسق بين المقامين. ويفضل استخدام هذا المقام في آيات الوعد والوعيد والترغيب والترهيب.

من المشهورين بإتقان هذا المقام الشيخ محمد أيوب ،والشيخ ناصر القطامي ،وفارس عباد، والشيخ ماهر المعيقلي .. علما أن لكل قارئ طابع خاص .. بل أن لكل منطقة طابع خاص. فتجد أهل الحجاز يقرأون على مقام البيات؛ ولكن بطابع حجازي، وأهل العراق – مثلا – يقرأونه بطابع عراقي حزين .

2- **مقام الراست:**وقالوا أنها كلمة فارسية تعني الاستقامة عادة ما يستخدم هذا المقام في تلاوة الآيات التي فيها طابع تشريعي أو قصصي. وغالب أئمة الحرمين الشريفين يقرأون على هذا المقام، وهم: السديس والشريم والجهني والبدير والحذيفي والثبيتي.

بالنسبة لقراء التحقيق فهذا المقام اساسي عندهم وهو بالنسبة لهم استعراض لقدرات القارئ وحنجرته وقوة العرب والزركشات التي تتميز بها حنجرة القارئ وهو من اكثر المقامات التي تتلى في الترتيل واكثر قراء العالم الإسلامي يقرؤون به ..

3-مقام النهاوند:وقالوا أنه ينسب إلى مدينة نهاوند الإيرانية وهي المدينة التي فتحها المسلمون في معركة نهاوند الشهيرة ببلاد فارس. يمتاز هذا المقام بالرقة والعذوبة. وقد يوصف هذا المقام بأنه مقام السراب وضياع الأمل، وهو مقام ذو

سِمَة عاطفية جياشة، وكثير من القراء المجودين من مصر يقرأ على هذا المقام، أشهرهم: محمود خليل الحصري والمنشاوي (رحمهما الله تعالى). أما من المملكة العربية السعودية فمن أشهر من يقرأ على هذا المقام الشيخ سعد الغامدي (حفظه الله)، علما بأن الشيخ سعد يقرأ على عدة مقامات أخرى.

ولهذا المقام قراؤه المتميزون ومن أشهرهم الشيخ عبد الهادي كناكري والشيخ مشاري العفاسي، وهذه النغمة مشهورة في تلاوات الترتيل شرقيّ الجزيرة العربية.

4-**مقام السيكا:** وهو مقام يتميز به القراء المصريون .. وأشهرهم محمد صديق المنشاوي (رحمه الله) .. والسيكاه كلمة مركبة من كلمتين، سيه تعني ثلاثة، وكاه تعني مقام. ممن يجيده من قراء المملكة .. الشيخ خالد القحطاني والشيخ سعد الغامدي وتميز به أهل الحجاز – ومنهم الشيخ زكي داغستاني – حتى ظن كثير من الناس أنه مقام الحجاز

وتلاوة أهل نجد الأصلية تتلى بهذا المقام، خصوصا عند كبار السن. وأول من ذكر السيكاه كدرجة هو قطب الدين محمود بن مسعود بن مصلح الشيرازي، وذلك في كتابه :"**درة التاج لغرة الديباج**"، وقد استعمله الفارابي ولم يذكر اسمه لانه كان غير معروف اسمه في عصره، واستعمله صفي الدين البغدادي ولم يذكر اسمه أيضا للسبب المذكور، وهو في الأصل مقام عربي ويرجع الى العراق وسماه المسلمون الفرس .. أيضاً ينسب لبلاد فارس ويعني بالفارسية ثلاث مراحل ويطلق على القراءة ببطء.

5- مقام الصبا: معناه بالعربية النسيم الخفيف فيه من الروحانية والعاطفة. مقام الحزن والشجن .. غالبا ما يُستَخدَم هذا المقام في آيات الوعيد والعذاب ووصف اليوم الآخر. وبالنسبة للإنشاد فيستعمل هذا المقام غالبا في أناشيد الرثاء وبكاء أمجاد الأمة .. وهو مقام شهير يتلو عليه كثير من القراء في المملكة وخارجها ..

إلا أن الشيخ عبد الباسط عبد الصمد قد بلغ في إتقان هذا المقام مبلغا سنيا .. وممن أتقنه واشتهر به في المملكة .. الشيخ خالد القحطاني والشيخ سعد الغامدي .. واشتهر – أيضا – الشيخ حسين آل الشيخ – إمام وخطيب المسجد النبوي – بهذا المقام ..

6- مقام الحجاز: يعتبر من أكثر المقامات التي تجلب الخشوع في القرآن. هو مقام عربي أصيل .. مقام حزين يثير الأشجان ويحرك المشاعر .. سمي بالحجاز نسبة إلى أرض الحجاز، كثيرا ما يترنم به أهل الحجاز .. فيحن السامع إلى تلك الديار .. إلى أرض الرسالة .. وهو مقام حزين .. غالبا ما يقرأ به في آيات الوعد والوعيد وأهوال يوم القيامة ..

ولهذا المقام فروع كثيرة وكثيرا ما يدخل إلى فروع المقامات الأخرى ، وهو مقام جميل جداً والكل يشتاق ويرتاح وتخنقه العبرات حينما يتلو وينشد بهذا المقام ..

ولكل بلد لهم طابع في تلاوة المقام فأهل العراق متميزون فيه وأهل الحجاز لهم طابعهم الخاص وقراء مصر كذلك وغيرهم.

ويستعمله قراء التحقيق بكثرة ويبدعون فيه .. وأجمل من يتلوه بحزن هو الشيخ عبد الباسط عبد الصمد ،ولكنه لايطيل فيه .. والشيخ مصطفى اسماعيل يتقنه وينوع تلاوته بهذا المقام وفروعه ويستخدمه بشكل رائع في آيات العذاب والوعيد والتي فيها طابع الترهيب والتخويف كما تسمع قراءة سورة الحج للشيخ.

7- مقام الكرد.

يوصف بأنه مقام الضعف وقلة الحيلة، وبعض علماء المقامات يعدونه فرعا من مقام البيات أو مقام النهاوند، وذلك للتشابه بين مقام الكرد والمقامين السابقين ..

اشتهر بهذا المقام الشيخ أحمد العجمي، ومن أئمة الحرم الشيخ أسامة بن عبدالله خياط. وقد أكثر المنشدون من هذا المقام خصوصا في الخليج العربي

ثالثًا:مشروعية قراءة القرآن بالمقامات

تحرير محل النزاع:

وقد حرر محل النزاع في هذه المسألة فقال:

وإن وقع خلاف بين العلماء في جواز القراءة بالألحان، على أن هذا الخلاف عند إمعان النظر مرتب لا مفرّع، وذلك أن القراءة بالألحان لا تخرج عن حالتين:

الحالة الأولى:

الألحان التي تسمح بها طبيعة الإنسان من غير تصنّع، وهذا ما يفعله أكثر الناس عند قراءة القرآن، فإن كل من تغنّى بالقرآن فإنه لا يخرج عن ذلك التلحين البسيط، وذلك جائز، وهو من التغني الممدوح المحمود، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن "، وعلى هذه الحالة يحمل الحكم بالجواز والاستحباب.

الحالة الثانية:

الألحان المصنوعة والإيقاعات الموسيقائية التي لا تحصل إلا بالتعمّل والتمرين، ولها مقادير ونسب صوتية لا تتم إلا بها، فذلك لا يجوز، لأن أداء القرآن له مقاديره التجويدية المنقولة التي لا يمكن أن تتوافق مع مقادير قواعد تلك الألحان إلا على حساب الإخلال بقواعد التجويد، وذلك أمر ممنوع.

ونوضح أن :أن (دخول المعازف في تلاوة القرآن) كان بدعوة مشبوهة من بعض الصحفيين قديماً بزعم تصوير المعاني وضبط الأنغام، وربما تمادى بعضهم وطالب بما يقارن تلك الألحان بالآلات الموسيقية، فكل ذلك جرأة على كتاب الله تعالى ذِكرُه وتقدس اسمُه، ولا شك أن الاشتغال بتلك الأنغام يوقع القارئ في

تحوير الألفاظ، ويصرف السامع عن تدبر المعاني، بل يفضي بها إلى التغيير، وكتاب الله تعالى مجد المسلمين ينزه عن ذلك. " حول فكرة تلحين القرآن " لعبد الفتاح القاضي بمجلة الأزهر الجزء الأول، عدد محرم 1387 هـ، والجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم للبيب السعيد صـ 343. [1]

تفصيل المسألة عند علماء المسلمين

قال الإمام ابن تيمية :"وقد تنازع الناس في قراءة القرآن بالألحان، منهم من كرهها مطلقا بل حرمها، ومنهم من رخص فيها، وأعدل الأقوال فيها أنها إن كانت موافقة لقراءة السلف كانت مشروعة، وإن كانت من البدع المذمومة نهي عنها،

والدليل على ذلك :

فالنفوس فطرت على حب الصوت الحسن ، وليس هناك أذن لا تحب الصوت الحسن وليس هناك قلب لا يهتز للصوت الحسن، ومن أنكر على الناس ميلهم لهذا فهو إنما ينكر عليهم فطرتهم.

كما أن السلف كانوا يحسنون القرآن بأصواتهم من غير أن يتكلفوا أوزان الغناء، مثل ما كان أبو موسى الأشعري يفعل، فقد ثبت في الصحيح عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: **"لقد أوتى هذا مزمارا من مزامير آل داود."**[2].

وقال لأبي موسى الأشعري:"**مررت بك البارحة وأنت تقرأ، فجعلت أستمع لقراءتك،** فقال: لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا. أي لحسنته تحسينا."[3]

---

1) ينظر:أرشيف ملتقى أهل التفسير تم تحميله في: المحرم 1432 هـ = ديسمبر 2010 رابط التحميل م http://tafsir.net

2)أخرجه الإمام البخاري باب حسن الصوت بالقراءة بالقرآن باب:""حسن الصوت للقراء بالقرآن ج6 ص195

3)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب استحسان تحسين الصوت بالقرآن ج1 ص546

وكان عمر يقول لأبي موسى الأشعري: **يا أبا موسى، ذكرنا ربنا فيقرأ أبو موسى وهم يستمعون لقراءته.**"[1]

وقد قال ﷺ "**زينوا القرآن بأصواتكم**"[2] ومنها عن أبي هريرة– رضي الله عنه– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال :ما أذن الله ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن. [3] وقال: –صلى الله عليه وسلم–"ليس منا من لم يتغن بالقرآن"[4].

وتفسيره عن الأكثرين كالشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهما هو تحسين الصوت به. فإذا حسن الرجل صوته بالقرآن كما كان يفعل السلف _ مثل أبي موسى الأشعري وغيره_ فهذا حسن.

وذُكر عن ابن عيينة أنه كان يتأوّل هذه الآية قولَ النبيّ –صلى الله عليه وسلم–: " لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بالقُرآن": أي من لم يستغن به، ويقول: ألا تراه يقول (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ) فأمره بالاستغناء بالقرآن عن المال، قال: ومنه قول الآخر: من أوتي القرآن، فرأى أن أحدًا أعطي أفضل مما أعطي فقد عظَّم صغيرا وصغَّر عظيما."[5]

(1

2)أخرجه أبو داود في سننه باب:"استحباب الترتيل في القرآن" ج2 ص74

3)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم() باب :"استحباب تحسين الصوت بالقرآن"كتاب:"صلاة المسافر وقصرها"ج1ص545

4)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم(7527)كتاب:"التوحيد"،باب:"قوله تعالى وأسروا قولكم أو اجهروا به"

5) جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م ج17 ص141

قال المجوِّزون – واللفظ لابن جرير–: الدليلُ: على أن معنى الحديث تحسينُ الصوت، والغناء المعقول الذي هو تحزين القارئ سامعَ قراءته، كما أن الغناء بالشعر هو الغناءُ المعقولُ الذي يُطرب سامعه –: ما روى سفيان، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، أن النبي –صلى الله عليه وسلم–، قال: (مَا اذنَ اللَّهُ لشيء مَا اذنَ لنبيٍّ حسن التَّرنُّم بالقُرْان) ومعقول عند ذوي الحِجا، أنَ الترنُّم لاَ يكُون إلا بالَصوت اذا حسَّنه المترنم وطرَّب به.

وروي في هذا الحديث (ما أذِنَ الله لشيء ما أذن لنبي حسنِ الصوت يتغنى بالقرآن يجهرُ به). قال الطبري: وهذا الحديث من أبين البيان أن ذلك كما قلنا، قال: ولو كان كما قال ابنُ عيينة، يعني: يستغني به عن غيره، لم يكن لذكر حُسن الصوت والجهر به معنى، والمعروف في كلام العرب أن التغني إنما هو الغناء الذي هو حسنُ الصوت بالترجيع، قال الشاعر:

تَغَنَ بِالشِّعْرِ أمَّا كُنْتَ قَائِلَه ** إنَّ الغِنَاءَ لِهَذا الشِّعرِ مِضْمَارُ

قال: وأما ادعاء الزاعم، أن تغنّيتَ بمعنى استغنيت فاشٍ في كلام العرب، فلم نعلم أحداً قال به من أهل العلم بكلام العرب. وأما احتجاجُه لتصحيح قوله بقولِ الاعشى:

وكُنْتُ امْرَءاً زَمَناً بالعِرَاق ** عَفِيفَ المُنَاخِ طويلَ التَّغَنْ

وزعم أنه أراد بقوله: طويل التغني: طويل الاستغناء، فإنه غلط منه، وإنما عنى الأعشى بالتغني في هذا الموضع: الإقامة من قول العرب: غني فلان بمكان كذا إذا أقام به، ومنه قوله تعالى: "كأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا" [1]

1)سورة الأعراف الآية:92

وسئل الشافعي رحمه الله، عن تأويل ابن عيينة ،فقال: نحن اعلمُ بهذا، لو أراد به الاستغناء، لقال:"من لم يستغن بالقُران"، ولكن لما قال: "يتغنَّى بالقران"، علمنا أنه أراد به التغنِّي.

قالوا: والمحرَّم، لا بد أن يشتمِل على مفسدة راجحة، أو خالصة، وقراءة التطريب والألحان لا تتضمن شيئاً مِن ذلك، فإنها لا تُخرِجُ الكلام عن وضعه، ولا تَحولُ بين السامع وبين فهمه، ولو كانت متضمِّنة لزيادة الحروف كما ظن المانع منها، لاخرجت الكلمة عن موضعها، وحالت بين السامع وبين فهمها، ولم يدر ما معناها، والواقعُ بخلاف ذلك.

قال ابن قدامة في المغني :وعلى كل حال فقد ثبت أن تحسين الصوت بالقرآن وتطريبه مستحب غير مكروه، ما لم يخرج ذلك إلى تغيير لفظه وزيادة حروفه، فقد روي عن عائشة –رضي الله عنها– أنها قالت للنبي –صلى الله عليه وسلم–: استمع قراءة رجل في المسجد لم أسمع قراءة أحسن من قراءته، فقام النبي –صلى الله عليه وسلم– فاستمع قراءته ثم قال: هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا.

قالوا: وهذا التطريب والتلحين، أمر راجع إلى كيفية الأداء، وتارة يكون سليقة وطبيعة، وتارة يكون تكلُّفاً وتعقُّلاً، وكيفيات الأداء لا تخرِجُ الكلام عن وضع مفرداته، بل هي صِفات لصوت المؤدِّي، جارية مجرى ترقيقه وتفخيمه وامالته، وجارية مجرى مدود القرَّاء الطويلة والمتوسطة، لكن تلك الكيفيات متعلقة بالحروف، وكيفيات الألحان والتطريب، متعلقة بالأصوات، والآثار في هذه الكيفيات، لا يمكن نقلُها، بخلاف كيفيات أداء الحروف، فلهذا نُقلت تلك بالفاظها، ولم يمكن نقل هذه بالفاظها، بل نقل منها ما أمكن نقله، كترجيع النبي– صلى الله عليه وسلم– في سورة الفتح بقوله: (ا ا ا). قالوا: والتطريب والتلحين راجع إلى

أمرين: مدٍ وترجيع، وقد ثبت عن النبي –صلى الله عليه وسلم–، أنه كان يمد صوته بالقراءة يمد (الرحمن) ويمد (الرَّحيم)، وثبت عنه الترجيع كما تقدم.

ويرى جمع من أهل العلم كره القراءة المشابهة لألحان الأغاني، وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله: وفصل النزاع، أن يقال: التطريب والتغنِّي على وجهين، أحدهما: ما اقتضته الطبيعة، وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين ولا تعليم، بل إذا خُلّي وطبعه، واسترسلت طبيعته، جاءت بذلك التطريب والتلحين، فذلك جائز، وإن أعان طبيعتَه بفضلِ تزيين وتحسين، كما قال أبو موسى الأشعري للنبي صلى الله عليه وسلم: لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيراً. ... فهذا هو الذي كان السلف يفعلونه ويستمعونه، وهو التغني الممدوح المحمود، وهو الذي يتأثر به التالي والسامعُ، وعلى هذا الوجه تُحمل أدلة أرباب هذا القول كلها.

الوجه الثاني: ما كان من ذلك صناعةً من الصنائع، وليس في الطبع السماحة به، بل لا يحصُل إلا بتكلُّف وتصنُّع وتمرُّن، كما يتعلم أصوات الغِناء بأنواع الألحان البسيطة، والمركبة على إيقاعات مخصوصة، وأوزانٍ مخترعة، لا تحصل إلا بالتعلُم والتكلف، فهذه هي التي كرهها السلفُ، وعابوها، وذمّوها، ومنعوا القراءةَ بها، وأنكروا على من قرأ بها، وأدلة أرباب هذا القول إنما تتناول هذا الوجه، وبهذا التفصيل يزول الاشتباهُ، ويتبين الصوابُ من غيره، وكلٌّ من له علم بأحوال السلف، يعلم قطعاً أنهم بُرآء من القراءة بألحان الموسيقى المتكلفة، التي هي إيقاعات وحركات موزونة معدودة محدودة، وأنهم أتقى لله من أن يقرؤوا بها، ويُسوّغوها؛لأن ذلك يورث أن يبقى قلب القارئ مصروفا إلى وزن اللفظ بميزان الغناء، لا يتدبره ولا يعقله، وأن يبقى المستمعون يصغون إليه لأجل الصوت الملحن كما يصغي إلى الغناء، لا لأجل استماع القرآن وفهمه وتدبره والانتفاع به.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية _رحمه الله_ في مجموعة الفتاوى :"وحيث أطلق الفقهاء اسم [الكلام] على حرفين فصاعدًا في [باب الصلاة]، فإنما غرضهم ما يبطل الصلاة، سواء كان مفيدًا أو غير مفيد، وموضوعا، أو مهملا، حتى لو صوت تصويتًا طويلا، ولحن لحون الغناء أبطل الصلاة، وإن لم يكن ذلك في اللغة كلامًا."[1]

وقال أيضا في مجموعة الفتاوى :"وعن الفضل بن زياد، قال: سمعت أبا عبد الله يسأل عن القراءة: فقال يحسنه بصوته من غير تكلف. وقال أبو بكر الأثرم: سألت أبا عبد الله عن القراءة بالألحان؟ فقال: كل شيء محدث؛ فإنه لا يعجبني، إلا أن يكون صوت الرجل لا يتكلفه ... "

وروى ابن القاسم، عن مالك، أنه سئل عن الألحان في الصلاة، فقال: لا تُعجبني، وقال: إنما هو غناءٌ يتغنَّون به، ليأخذوا عليه الدراهم[2]، وممن رُويت عنه الكراهةُ، أنس بن مالك، وسعيد بن المسيِّب، وسعيد بن جبير، والقاسم بن محمد، والحسن، وابن سيرين، وابراهيم النخعي. وقال عبد الله بن يزيد العكبري: سمعت رجلاً يسأل أحمد، ما تقولُ في القراءة بالالحان؟ فقال ما اسمك؟ قال محمد: قال: أيسرك أن يقال لك: يا موحمد ممدوداً. [3]

الخلاصة :

---

1)مجموع الفتاوي ج12 ص64

[2]) شرح صحيح البخارى :ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: 449هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض الطبعة: الثانية، 1423هـ - 2003م

ج10 ص258

[3]) **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أبو بكر أحمد بن مُحَمَّد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (المتوفى: 311هـ)تحقيق: الدكتور يحيى مراد الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1424 هـ – 2003 م** ص79

1 – أن القراءة بالألحان ظهرت في القرن الثاني، وعدها علماء الإسلام بدعة.

2 – حكم القراءة بالألحان دائر بين المنع والجواز.

3 – الخلاف في القراءة بالألحان مفرع على مراعاة قواعد التجويد، فإن وافقها فجائز، وإن خالفها فممنوع.

4 – تحسين القراءة بالصوت أمر مستحب.

5 – أن واقع تلاوة الناس عامة وخاصة لا يخرج عن دائرة النغم، وإن لم يكن مطابقا لها.

التلحين الموسيقي الذي ابتلي به بعض الناس ممن لا يُعتبرون من علماء التجويد ولا القراءات فلا يختلف في تحريمه.